سلسلة فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف (٩)



في

انحرافات الطرق الصوفية

تقديم
جماعة من العلماء



هذه الرسالة

تمثل كلمة عدد من مشايخ الأزهر الفضلاء، وأئمة دار الإفتاء، وأعضاء هيئة كبار العلماء بمصر، حول مسائل يُعاد فيها الكلام ويُزاد، ويكثر فيها اللجاج والعناد، وهي فتاوى تنير الدرب، وترضي الرب، وترشد الخلق إلى طريق الحق، وتتبنى الوسطية وتنأى عن الطرفية، وتحمي صحيح الدين من تحريف المحرفين.

والحمد لله رب العالمين





في

انحرافات الطرق الصوفية





رقم الإيداع

٢٠١١/٧٤٤١

فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف في انحرافات الطرق الصوفية

الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م



٢٠ ش عبد العزيز عيسى، المنطقة التاسعة الحي الثامن - مدينة نصر، القاهرة.

تليفون: ٠٢٢٤٧٠٩٢٦٩ ٠٠٢

فاكس: ٠٢٢٤٧١٤٨٠١ ٠٠٢

محمول: ٠١٦٢٢٢٧٦٢٠٨ ٠٠٢

Email: alyousr@gmail.com

تقديم

بقلم فضيلة الشيخ الدكتور
عبد الستار فتح الله سعيد
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر وأم القرى

الحمدُ لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعدُ:

رجاء وتحذير!

أما «الرجاء» الأعظم فهو أن يتنبه كل مسلم ومسلمة إلى أنَّ «**التوحيد**» هو أصل الأصول في الدِّين، وأساس الإسلام والإيمان، فمن أحسنه فاز ونجا، وسعد في الدارين.

أمَّا «التحذير» الأكبر فهو مِن «**الشِّرك**» وأرجاسه، وبِدَعه، لأنَّه مُحبِط للأعمال، محرِّم للجنة، موجِب للخلود في النَّار والعياذ بالله تعالى.

وعلى القارئ الكريم أن يُجمِّع حواسَّه كلها، وأنْ يوقِظ

مشاعره جميعًا؛ ليتخذ قرارًا صارمًا: بالتزام «**التوحيد**» وما يقرِّب إليه مِن قول وعمل، وباجتناب «**الشرك**» وما يؤدي إليه مِن ظلماتٍ وفتن!!

ولا يتعامل مع هذين الأمرين بأيّ قَدْرٍ مِن التساهل والتهاون!!

تفصيل وبيان:

وهذا تفصيل وبرهان على ما أجملناه في هذه السطور، ولله عاقبة الأمور، ومنه -وحده- التوفيق والسداد، وهو -وحده- المتفرد بالصفات العُليا: خَلْقًا، ومُلْكًا، ورِزقًا، وإحياءً، وإماتةً، وبعثًا، وجزاءً، وصدق الله في قوله الكريم: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ ولذلك اتَّصف ﷻ بـ«**الوحدانية**» المطلقة، بلا شريك ولا نظير، وأوجب على عباده «**التوحيد**» اعتقادًا، وقولًا، وعملًا.

وجعل ذلك أصل الأصول، وأساس الشريعة التي شرعها لعباده، على ألسنة رُسله في كل العصور.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ

إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى مؤكدًا هذا التعميم: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل: ٣٦].

ولذلك حرَّم الله تعالى كل ضروب «الشِّرك» ما ظهر منها وما بطن تحريمًا قطعيًا، لا هَوادة فيه، ولا رُخصة معه، وعدَّ الشِّرك أفحش الذنوب جميعًا، وحكم عليه في كتابه الكريم بأشنع حكم؛ إذ إنه:

١ – يُحبط الأعمال جميعًا ويمحو الحسنات مهما كانت عظيمة.

٢ – لا يقبل المغفرة.

٣ – يمنع مِن دخول الجنة على الإطلاق.

٤ – يُوجب الخلود في النَّار خلودًا أبديًا والعياذ بالله تعالى.

وفي ذلك يقول ﷻ مخاطبًا رُسله –وهم صفوة خَلْقِه–: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ

عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[الزمر: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النساء: ٤٨].

وقال ﷻ في المصير النهائي لمن أشرك به: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[المائدة: ٧٢].

موقف الأنبياء والعلماء:

وقد استوعب الأنبياء جميعًا هذا الوحي الإلهي، فكانت قضية حياتهم ومماتهم هي الدعوة إلى التوحيد الخالص، ونبذ الشِّرك والشركاء، وكان رسول الله محمد ﷺ أحرص النَّاس على هذا؛ نيةً وقولًا وعملًا، طوال حياته ﷺ، وسنته الشريفة أبلغ شاهد.

وقد استوعب ورثة الأنبياء مِن علماء الإسلام في كل العصور موقفه ﷺ؛ لذلك كانوا بأقوالهم وأعمالهم ومؤلفاتهم على آثار المصطفى ﷺ في نقاء «**التوحيد**»، ورفض «**الشِّرك**» وكل مظاهره، ومداخله المظلمة، تحقيقًا لحقائق القرآن القطعية الثبوت والدلالة،

وتأكيدًا لسُنة النَّبي ﷺ.

ولـذلك كانـت فتـاوي علـماء الإسـلام -في كـل العـصور- واضـحة، لا تقبـل التـساهل والـترخّص في مـسائل الإيـمان والتوحيد، ولا تُهادِن أهواء العوام، وأصحاب البدع والضلالات من غلاة الصوفية وغيرهم، بل تُطارد كل ألوان الشِّرك وأسبابه، وما يؤدي إليه، مهما زَيَّن فيها الشيطان؛ مثل إقامة الأضرحة على القبور، وإضاءتها، وسترها بالسُّتور، ودعاء المقبورين مِن بُعْد أو مِن قُرْب، أو الطواف حول هذه الأضرحة المبتدَعة، أو نـذر شيء لغير الله تعالى، كما نرى براهين ذلك في كل فتاوي العلماء الأثبات المنقولة في هذا الكتاب القيّم، بل كما نرى في فتاوي الوزراء الـذين صدعوا بكلمة الحق، ولم تمنعهم الاعتبارات السياسية المعروفة مِن أن يعترفوا بالحق الإسلامي الـذي لا يقبـل التحريف أو التغيير، فاستنكروا الموالد وما فيها مِن بدع طافحة، وأنكروا الأضرحة، وصناديق النـذور، وضلالات المحرفين مِـن أدعيـاء الـصوفية والتشيّع، وبيّنوا ما شاع مِن بدع وانحرافات ضالة مضلّة.

أدعياء الإفتاء:

ولـيكن في هـؤلاء العلـماء أسـوة حـسنة للنَّـاس جميعًـا، خصوصًا لتلك **النابتة مِن أدعياء العلم والإفتاء** الذين أوغلوا في إباحـة البـدع المنكـرات، وأصـدروا في ذلـك الفتـاوي والكتب، وأحلـوا مـا حرَّم الله ورسوله، وأضلّوا المسلمين والمسلِمات بمُنكَر مِن القول وزور، والله تعالى هـو المأمول أن يتوب عليهم قبل مماتهم مِن هذه الذنوب العظام!!

جزى الله تعالى علماء الأمة الأثبات خير الجزاء بما كتبـوا، وأفتوا وصدعوا به من الحق المبين.

وجـزى الله تعـالى خـير الجـزاء مَـن جمـع هـذه الفتـاوي والأقـوال الموثقـة مِـن مـصادرها؛ لتكـون عِظـةً للمـؤمنين، وتذكرةً للموحِّدين.

وإنَّنا -بهذه المناسبة- ندعو العلماء جميعًـا ألا يتهـاونوا في هـذه العقائـد الخطـيرة، وأن يقـدِّروا المسئولية العظمـى التـي نِيطَـت بأعنـاقهم بيانًـا للحـق، وحفاظًـا عـلى ديـن الأُمـة مِـن

لوثات الشِّرك، وبدع الباطل!!

وعلى كل مسلم ومسلمة أن يأخذوا العلم مِن العلماء الناصحين الصالحين، وألا يترخصوا في أمور العقائد والإيمان، وألَّا يَقبلوا الفتاوي المبتَدَعة؛ فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار، أعاذنا الله جميعًا منها.

وفَّق الله الجميع إلى خير ما يحب ويرضى، وعصمنا جميعًا مِن الشيطان ونَزْغِهِ، وخَتَم لنا جميعًا بخاتِمة السعادة والهدى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه الفقير إلى عفو الله

عبد الستار فتح الله سعيد

القاهرة في ١٤٣٢/٥/٧هـ

١٠/٤/٢٠١١م

تقديم

بقلم فضيلة الشيخ الدكتور
عبد الله شاكر الجنيدي
أستاذ العقيدة الإسلامية
الرئيس العام لجماعة أنصار
السنة المحمدية - بمصر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

وبعد:

فمن المعلوم لدى عموم المسلمين أن الله تبارك وتعالى أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام دينًا، وقد بين النبي ﷺ لأمته جميع ما تحتاج إليه، ولم يقبضه ربه إليه إلا بعد أن بلغ البلاغ المبين، وتركنا على المحجة البيضاء الناصعة -صلوات الله وسلامه عليه-.

وسلك أصحابه من بعده طريقه، واقتفوا أثره، واتبعوا سنته، وهكذا مَن جاء بعدهم ممن سلك مسلكهم ولزم طريقتهم، غير أن بعض الناس خالفوا هذا المنهج وانحرفوا عن الطريق القويم الذي

كان عليه النبي الأمين ﷺ، فاخترعوا ألقابًا مختلفة، وتسموا بأسماء متعددة متابعين في ذلك مشايخهم، راغبين عن هدي النبي ﷺ، وتبع ذلك عدم التقيّد بمصدر التلقي -الكتاب والسنة- والاعتماد على أقوال الرجال، أو الرجوع إلى فلاسفة الهند واليونان، ونحن معشر أهل السنة والجماعة لا نرضى باسم غير الإسلام والسنة، ولا نتبع إلا من أُمرنا باتباعه، امتثالًا لقول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[الحشر:٧]، وهذه الفتاوي التي تقدم اليوم للأمة، وهي لأئمة أعلام، وعلماء فضلاء بينوا فيها مخالفة الطرق الصوفية لهدى النبوة، والغرض من ذلك أن نعود جميعًا إلى الحق، وأن لا يغتر أحد من المسلمين بالباطل، وهي في الوقت ذاته دعوة صادقة إلى لزوم الكتاب والسنة وجماعة المسلمين حتى نسلم إذا وقفنا بين يدي رب العالمين.

نسأل الله أن يجمع شمل المسلمين، وأن يوحد كلمتهم على كلمة التوحيد.
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتب

أ.د/ عبد الله شاكر الجنيدي

القاهرة في ٢٠١١/٤/٤م

تقـديم

بقلم فضيلة الأستاذ الدكتور
عمر بن عبد العزيز قريشي
الأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية - جامعة الأزهر

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فجزى الله علماء الإسلام الأئمة الأعلام خير الجزاء على ما قالوا من كلمة الحق وقولة الصدق في هذه الضلالات، وحكم تلك الخرافات التي انتشرت وسادت، سيما في هذه الأيام، مع التعصب لها ممن يُحسبون على علماء الإسلام!! فماذا كان سيقول الأئمة الأعلام لو شاهدوا زماننا ورأوا ما يفعل المتصوفة في أيامنا، وكيف يدافع عنهم أئمتنا!!

ومع أن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أنصفهم، إلا أنهم حاربوه وكفَّروه، وابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تلطَّف معهم، ولكن هاجموه، وما رأيت تعصبًا للتصوف -فيما أعلم- كالذي حدث في زماننا، ورحم الله الشيخ عبد الرحمن الوكيل حين كتب كتابه «هذه هي

الصوفية» فلما رأيت حدة عبارته خفَّفت من وطأتها وهوَّنت من حدتها في كتابي «شبهات التصوف» حتى أدلي بدلوي، وأقوم بواجبي تجاه عقيدتي وديني، وهناك فَصَّلت القول عن التصوف والصوفية، وأقسامهم وطرقهم، وعقيدتهم وشريعتهم وأخلاقهم، فيما تباين مع منهج الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقًا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

هذا.. وأقول: بحمد الله فلقد جاء هذا الكتاب في وقته وإبّانه بلسان علماء الأزهر الثقات، والأئمة الأثبات، والمفتين التقاة، ومشايخ الأزهر الهداة، حتى لا يقال هذا كلام الوهابية، وتلامذة ابن تيمية، أو هذا دين مستورد من الخليج أو السعودية، ولعله مرتبط بمكافآت مادية وأخرى معنوية! فكم هوجمنا بمثل هذه التهم الجاهزة، والشهبات الواهية! فهل آن للحق أن يتضح، وللباطل أن يفتضح، ونعلم دائمًا وأبدًا أن الحق أبلج، وأن الباطل لجلج: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن

تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[الحديد:١٦].

ألا هل بلغت، اللهم فاشهد، اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

الأستاذ الدكتور

عمر بن عبد العزيز قريشي

الأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية - جامعة الأزهر

الفصل الأول

فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف

في انحرافات عقدية لبعض الطرق الصوفية



وجوب هدم المساجد والقباب التي بُنيت على القبور

لفضيلة الشيخ

ابن حجر الهيتمي رحمه الله [١]

الفقيه الشافعي

قال الشيخ رحمه الله نقلًا عن بعض الحنابلة[٢]:

«وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور؛ إذ

---

(١) ولد عام (٩٠٩هـ) في «محلة أبي الهيتم» التابعة لمحافظة «الغربية» في مصر، مات أبوه وهو صغير فكفله الإمامان شمس الدين بن أبي الحمايل وشمس الدين الشناوي. قرأ في مبادئ العلوم ثم نقله الشناوي في عام (٩٢٤هـ) إلى جامع الأزهر فأخذ عن علماء مصر، وكان قد حفظ القرآن في صغره، أذن له مشايخه بالإفتاء والتدريس وعمره دون العشرين، كان شافعي المذهب، وبرع في علوم كثيرة من الفقه والتفسير والحديث وغيرها، قدم إلى مكة في آخر سنة (٩٣٣ هـ) فحج وجاور بها، وأقام بها يدرس ويفتي ويؤلف إلى أن توفي بها رحمه عام (٩٧٣هـ).

(٢) «الزواجر عن اقتراف الكبائر»، ابن حجر الهيتمي المصري، (الكبيرة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتسعون: اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أوثانًا، والطواف بها، واستلامها، والصلاة إليها).

هي أَضَرُّ من مسجد الضرار؛ لأنها أُسست على معصية رسول الله ﷺ؛ لأنه نهى عن ذلك، وأمر ﷺ بهدم القبور المشرِفة، وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر، ولا يصح وقفه ونذره».



التوسل بجاه الأنبياء والأولياء بدعة في الدين

لفضيلة الأستاذ الشيخ الإمام

محمد عبده رحمه الله[(١)]

مفتي الديار المصرية

سئل فضيلته رحمه الله[(٢)]:

«فضيلة أفندم مفتي الديار المصرية، متعنا الله بوجوده، آمين. أُبدي أنه قد بلغني أن بعض الناس كتب إلى فضيلتكم سؤالًا يَدَّعِي فيه أني أنكرت جاه النبي، والتوسل به إلى الله تعالى وبأوليائه -رضوان الله عليهم أجمعين-.

والحقيقة أني لم أنكر شيئًا من ذلك ولم أتكلم به. بل

(١) ولد في إحدى قرى مديرية البحيرة سنة ١٨٤٩م، حفظ القرآن الكريم، وتعلم القراءة والكتابة، ثم انتقل إلى الجامع الأزهر بالقاهرة، تولى منصب القضاء سنة ١٨٨٨م، فعُيِّن نائب قاضٍ في محكمة بنها، ثم رُقِّيَ قاضيًا من الدرجة الثانية ثم الدرجة الأولى، وعُيِّن مفتيًا للدِّيار المصرية سنة ١٨٩٩م، وتوفي بالإسكندرية سنة ١٩٠٥م.

(٢) «الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده» تحقيق د. محمد عمارة (٣/ ٥٤١-٥٤٥)، وقد نُشرت الفتوى في مجلة «المنار» في الجزء الثالث عشر من السنة السابعة في (غرة رجب ١٣٢٢هـ).

الحقيقة أنه سألني جمع من الناس عن حقيقة ما يعتقدونه ويقولونه بألسنتهم من التوسل بجاه النبي ﷺ، والتوسل بأوليائه، معتقدين أن النبي أو الولي يستميل إرادة الله تعالى عما هي عليه، كما هو المعروف للناس من معنى الشفاعة والجاه عند الحكام، وأن التوسل بهم إلى الله تعالى كالتوسل بأكابر الناس إلى الحكام.

فلما رأيت منهم ذلك، وأن هذا أمر مخل بالعقيدة -كما تعلمون- وأن قياس التوسل إلى الله تعالى على التوسل بالحكام محال -فأجبتهم بما أعتقده وأدين به من تقرير عقيدة التوحيد، وهي أنه: لا فاعل ولا نافع ولا ضار إلا الله تعالى، وأنه لا يُدعى معه أحد سواه؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وأن النبي ﷺ -وإن كان أعظم منزلة عند الله من جميع البشر، وأعظم الناس جاهًا ومحبة، وأقربهم إليه- ليس له من الأمر شيء، ولا يملك للناس ضرًّا ولا نفعًا ولا رشدًا ولا غيره، كما في نص القرآن،

وإنما هو مبلِّغ عن الله تعالى. ولا يُتوسل إليه تعالى إلا بالعمل كما جاء على لسانه ﷺ، واتباع ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون من هَدْيه وسنته.

وإنه لا سبب لجلب المنافع ودفع المضار إلا ما هدى الله الناس إليه، ولا معنى للتوسل بنبي أو ولي إلا باتباعه والاقتداء به، يرشدنا إلى هذا كثير من الآيات الواردة في القرآن العظيم؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]... إلى غير ذلك من الآيات.

هذا هو اعتقادي، وهو الذي قلته للناس، فإن كنتم ترون فيه خطأ فأرجو بيانه، وإن كان هو الصواب فأرجو إقراري عليه كتابةً لأدافع بذلك من أساء بي الظن. لا زلتم هادين مهديِّين.

محمد موسى

من محلة فرنوي، ببحيرة

فأجاب فضيلته رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اعتقادك هذا هو الاعتقاد الصحيح، ولا يشوبه شوب من الخطأ، وهو ما يجب على كل مسلم يؤمن بما جاء به محمد ﷺ أن يعتقده؛ فإن الأساس الذي بُنيت عليه رسالة النبي محمد ﷺ هو هذا المعنى من التوحيد -كما قال الله له-: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢].

والصمد هو الذي يُقصد في الحاجات، ويتوجه إليه المربوبون في معونتهم على ما يطلبون، وإمدادهم بالقوة فيما تضعف عنه قواهم، والإتيان بالخبر على هذه الصورة يفيد الحصر -كما هو معروف- عند أهل اللغة، فلا صمد إلا هو.

وقد أرشدنا إلى وجوب القصد إليه وحده، بأصرح عبارة في قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

على أن الذين يزعمون جواز شيء مما عليه العامة اليوم في

هذا الشأن إنما يتكلمون فيه بالمبهمات ويسلكون طرقًا من التأويل لا تنطبق على ما في نفوس الناس، ويفسرون الجاه والواسطة بما لا أثر له في مخيلات المعتقدين، فأيُّ حالة تدعوهم إلى ذلك وبين أيديهم القرون الثلاثة الأولى ولم يكن فيها شيء من هذا التوسل ولا ما يشبهه بوجه من الوجوه؟! وكتب السنة والسِّيَر بين أيدينا شاهدة بذلك.

فكل ما حدث بعد ذلك فأقل أوصافه أنه بدعة من الدين، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

وأسوأ البدع ما كان فيه شُبهة الإشراك بالله وسوء الظن به، كهذه البدع التي نحن بصدد الكلام فيها، وكأَنَّ هؤلاء الزاعمين يظنون أن في ذلك تعظيمًا لقدر النبي ﷺ أو الأنبياء والأولياء، مع أَنَّ أفضل التعظيم للأنبياء هو الوقوف عند ما جاءوا به، واتقاء الزيادة عليهم فيما شرعوه بإذن ربهم، وتعظيم الأولياء يكون باختيار ما اختاروه لأنفسهم.

وظن هؤلاء الزاعمين أن الأنبياء والأولياء يفرحون

بإطرائهم، وتنظيم المدائح وعزوها إليهم، وتفخيم الألفاظ عند ذِكرِهم، واختراع شئون لهم مع الله لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا رضيها السلف الصالح.

هذا الظن بالأنبياء والأولياء هو أسوأ الظن؛ لأنهم شبهوهم في ذلك بالجبارين من أهل الدنيا الذين غشيت أبصارَهم ظلماتُ الجهل قبل لقاء الموت، وليس يخطر بالبال أن جبارًا لقي الموت وانكشف له الغطاء عن أمر ربه فيه يرضى أن يفخِّمه الناس بما لم يشرعه الله، فكيف بالأنبياء والصديقين؟!

إن لفظ الجاه الذي يضيفونه إلى الأنبياء والأولياء عند التوسل مفهومه العرفي هو السلطة، وإن شئت قلت نفاذ الكلمة عند من يستعمل عليه أو لديه؛ فيقال: فلان اغتصب مال فلان بجاهه، ويقال: فلان خلص فلانًا من عقوبة الذنب بجاهه لدى الأمير أو الوزير مثلًا.

فزَعْمُ زاعم أن لفلان جاهًا عند الله بهذا المعنى إشراك جلي لا خفي، وقلما يخطر ببال أحد من المتوسلين معنى اللفظ

اللغوي، وهو المنزلة والقدرة. على أنه لا معنى للتوسُّل بالقدرة والمنزلة في نفسها؛ لأنها ليست شيئًا ينفع، وإنما يكون لذلك معنًى لو أولت بصفة من صفات الله كالاجتباء والاصطفاء.

ولا عَلاقة لها بالدعاء، ولا يمكن لمتوسل أن يقصدها في دعائه، وإن كان «الألوسي» المسكين بنى تجويز التوسل بجاه النبي خاصة على ذلك التأويل، وما حمله على هذا إلا خوفه من ألسنة العامة وسباب الجهال، وهو ما لا قيمة له عند العارفين.

فالتوسل بلفظ الجاه مبتدَع بعد القرون الثلاثة، وفيه شبهة الشرك -والعياذ بالله- وشبهة العدول عما جاء به رسول الله ﷺ؛ فلم الإصرار على تحسين هذه البدعة؟!

يقول بعض الناس: إن لنا على ذلك حجة لا أبلغ منها، وهي ما رواه الترمذي بسنده إلى عثمان بن حنيف رضي الله عنه، قال: إن رجلًا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: فادعه. قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء، ويدعو بهذا الدعاء: «**اللهم إني أسالك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت**

بك إلى ربي ليقضي لي في حاجتي هذه، اللهم فشفعه في». قال الترمذي: وهو حديث حسن صحيح غريب[١].

ونقول: أولًا قد وصف الحديث بالغريب، وهو ما رواه واحد، ثم يكفي في لزوم التحرز عن الأخذ به أن أهل القرون الثلاثة لم يقع منهم مثله، وهم أعلم منا بما يجب الأخذ به من ذلك، ولا وجه لابتعادهم عن العمل به إلا علمهم بأن ذلك من باب طلب الاشتراك في الدعاء من الحي، كما قال عمر ﵁ في حديث الاستسقاء: «إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإننا نتوسل إليك بعم نبينا العباس فاسقنا»[٢]. قال ذلك ﵁، والعباس بجانبه يدعو اللهَ تعالى.

ولو كان التوسل ما يزعم هؤلاء الزاعمون لكان عمر يستسقي ويتوسل بالنبي ﷺ ولا يقول: كنا نستسقي بنبينا، والآن نستسقي بعم نبينا.

---

(١) سنن الترمذي (٣٥٧٨)، وأخرجه أحمد (١٧٢٤٠-١٧٢٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٠١٠) ومواطن أخر.

وطلب الاشتراك في الدعاء مشروع حتى من الأخ لأخيه، بل ويكون من الأعلى للأدنى، كما ورد في الحديث، وليس فيه ما يخشى منه، فإن الداعي ومن يشركه في الدعاء وهو حي كلاهما عبد يسأل اللهَ تعالى، والشريك في الدعاء شريك في العبودية، ولا وزير يتصرف في إرادة الأمير كما يظنون: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصافات: ١٨٠].

ثم.. المسألة داخلة في باب العقائد لا في باب الأعمال؛ ذلك أنَّ الأمر فيها يرجع إلى هذا السؤال: « هل يجوز أن نعتقد بأن واحدًا سوى الله يكون واسطة بيننا وبين الله في قضاء حاجاتنا أو لا يجوز؟

أما الكتاب فصريحٌ في أن تلك العقيدة من عقائد المشركين، وقد نَعاها عليهم في قوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨].. وقد جاء في السورة التي نقرؤها كل يوم في الصلاة: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]،

فلا استعانة إلا به، وقد صرح الكتاب بأن أحدًا لا يملك للناس من الله نفعًا ولا ضرًّا، وهذا هو التوحيد الذي كان أساس الرسالة المصطفوية -كما بينَّا-.

ثم البرهان العقلي يرشد إلى أن الله في أعماله لا يقاس بالحكام وأمثالهم في التحول عن إرادتهم بما يتخذه أهل الجاه عندهم لتنزُّهه -جل شأنه- عن ذلك. والله أعلم.

محمد عبده

في ٢٧ جمادى الثانية ١٣٢٢

زيارة الأضرحة في الموالد من أعمال الوثنيين

وقال فضيلته في موضع آخر[١]:

إن أحد وجهاء المصريين كان عندي في أثناء مَولد السيدة زينب من هذا الشهر «رجب» مع جماعة آخرين، فقام الوجيه، وقال: إنه ذاهب لزيارة السيدة...

فقلت له: لم خصصت الزيارة بهذا اليوم؟ فقال: لأنه يوم المولد، وأن هذه الليلة هي الليلة الكبيرة. فقلت: ما هذا المولد؟ أنا لا أفهم معنى لهذا اللفظ؛ هل يوم الموالد أو الليلة الكبيرة من لياليه عبارة عن ليلة تخرج السيدة فيها للقاء الزائرين؟!

ونهيتُه عن الذهاب فلم ينتهِ، وهَمَّ بالخروج فقلت له: إنني لست مازحًا وإنما أتكلم بالجد، وأقول: إن هذا العمل من أعمال الوثنيين وإن الإسلام يأباه، كل آيات القرآن في التوحيد تنهى عن هذا وتَذُمُّه.

(١) «الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده» (٣/ ٥٥٧).

إن الفاتحة التي تقرؤونها كل يوم في صلاتكم مرارًا تنهاكم عن هذا العمل، تخاطبون اللهَ تعالى فيها بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] كذبًا، فإنكم تستعينون بغيره، وتعبدون غيره، ثم إن عملكم هذا متناقض، حيث تهدون الفاتحة إلى من تزورونه، إذًا معناه أنه محتاج إليكم وينتفع بفاتحتكم، ثم تطلبون منه قضاء حوائجكم... إلخ.



هدم قبة على قبر

وسُئل فضيلته عن ضريح قديم عليه قُبة في شارع مطروق ليلًا ونهارًا، معرضة للبول والأقذار، وبجوار هذا الضريح مسجد منسوب لصاحبه، وفي هذا المسجد باب لذلك الضريح، فهل يجوز هدم القبة ونقل الضريح إلى داخل المسجد أو يبقى في محله.

فأجاب فضيلته[(١)]:

«المروي عن الإمام أبي حنفية أن بناء بيت أو قبة على القبر مكروه[(٢)]، وهو يدل على أن لا بأس بهدم القُبة المذكورة، بل إنَّه الأَوْلَى، فإذا كانت تجتمع حولها القاذورات واعترضت في الطريق تأكدت الأولوية، أما موضع القبة وهو الضريح فيُسوَّى بأرض الشارع لأنه لو فُرض أنَّ تحته ميتًا مدفونًا فقد بَلِيَ، فيجوز استعمال أرضه في غير الدفن. والله أعلم».

---

(١) «فتاوي دار الإفتاء»، برقم (٥٩٤)، بتاريخ (٢٨ ذى الحجة ١٣١٩هـ).

(٢) قال ابن عابدين: «وعن أبي حنيفة: يُكرهُ أن يبنِيَ عليه بِناءً مِن بيتٍ أو قُبَّةٍ أو نحوِ ذلك، لما روى جابرٌ «نهى رسولُ الله ﷺ عن تجصيصِ القبورِ، وأن يُكتبَ عليها، وأن يُبنَى عليها»، رواه مسلمٌ وغيره». انظر: حاشية ابن عابدين (٢/ ٢٣٨).

لا يجوز اتخاذ القبور في المساجد

وسُئل فضيلته رحمه الله[1]:

في أهل بلدة بنوا مسجدًا، وأذن بإقامة الجمعة فيه، ثم تخرب ولم يوجد مَن يُصلحه، فقام رجل وأنفق عليه من ماله وأصلحه، فهل يجوز له أن يتخذ فيه قبورًا؟!

فأجاب فضيلته رحمه الله:

حيث كان هذا المسجد قد بُني في أول مرة مسجدًا، فحكمه حكم المسجد، لا يجوز اتخاذ القبور فيه؛ فلا حق لمن أصلح ما تخرب منه تبرعًا من جهته أن يتخذ فيه تلك القبور، لبقاء حكم المسجدية المانع من ذلك. والله أعلم.

---

(١) «الأعمال الكاملة» (٢/ ٥٠٨)، وتاريخ هذه الفتوى: (٣ذي الحجة سنة ١٣٢٠هـ)، ورقمها في السجل الثالث من سجلات دار الإفتاء (١٠٦).

شرك القبوريين

لفضيلة الشيخ

محمد الغزالي رحمه الله [١]

وكيل وزارة الأوقاف

قال فضيلته رحمه الله [٢]:

ولماذا نستحي من وصف القبوريين بالشرك، مع أن الرسول وصف المرائين به، فقال: «الرياء شرك» [٣].

وإن واجب العالم أن يرمق هذه التوسلات النابية

---

(١) ولد فضيلته في الخامس من ذي الحجة سنة ١٣٣٥هـ الموافق ٢٢ من سبتمبر ١٩١٧م في قرية «نكلا العنب» التابعة لمحافظة البحيرة بمصر، وأتم حفظ القرآن بكتّاب القرية في العاشرة، والتحق بعد ذلك بمعهد الإسكندرية الديني الابتدائي، وظل بالمعهد حتى حصل منه على شهادة الكفاءة ثم الشهادة الثانوية الأزهرية، ثم انتقل بعد ذلك إلى القاهرة سنة ١٩٣٧م، والتحق بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف، وتخصص بعدها في الدعوة والإرشاد حتى حصل على درجة العالمية سنة ١٩٤٣م، وعُين وكيلًا لوزارة الأوقاف، وتوفي سنة ١٩٩٦م، ودفن بالبقيع.

(٢) «عقيدة المسلم» ص ٧٢.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٩)، والحاكم (٤/ ٣٢٨).

باستنكار، ويبذل جهده في تعليم ذويها طريق الحق، لا أن يفرغ وسعه في التمحل والاعتذار.

ولستُ ممن يحب تكفير الناس بأَوْهَى الأسباب، ولكن حرام أن ندع الجهل بالعقائد ونحن شهود.



زوار البدوي وإفساد التوحيد

وقال فضيلته في موضع آخر[1]:

«ينبغي لهذه الأمة أن تكون مثلًا عاليًا في إسلام الوجه لله وإفراده بالنية والعمل.

بيد أننا نلحظ -آسفين- أن هناك مسالك شائعة بين الجماهير الغفيرة من المسلمين، لها دلالتها الخطيرة على فساد التفكير وضلال الاتجاه واضطراب المقصد.

ولا نحب أن نوارب في الكشف عن هذه العلة؛ فإن أيَّ خلل في دعائم التوحيد معناه الخبل الذي يدرك موطن القيادة الفكرية في هذا الدين الحنيف.

إذًا التوحيد في الإسلام حقيقةٌ وعنوان، وساحة وأركان، وباعث وهدف، ومبدأ ونهاية.

ولسنا -كذلك- ممن يحب تصيد التهم للناس، ورميهم

---

(١) «عقيدة المسلم» (ص ٦٤-٦٩).

بالشرك جزافًا، واستباحة حقوقهم ظلمًا وعدوانًا، ولكننا أمام تصرفات توجب علينا النظر الطويل، والنصح الخالص، والمصارحة بتعاليم الكتاب والسنة كلما وُجد عنها أدنى انحراف.

لقد اهتمت حكومة إنجلترا -في سبيل مكافحة الشيوعية- بالحالة الدينية في مصر، فكان مما طمأنها على إيمان المصريين (!) أن ثلاثة ملايين مسلم زاروا ضريح أحمد البدوي بطنطا هذا العام.

والذين زاروا الضريح ليسوا مجهولين لديَّ، فطالما أُوفدت رسميًّا لوعظهم، فكنت أشهد من أعمالهم ما يستدعي الجلد بالسياط لا ما يستدعي الزجر بالكلام، وكثرتهم الساحقة لا تعرف عن فضائل الإسلام وأنظمته وآدابه شيئًا.

ولو دُعوا لواجب ديني صحيح لفروا نافرين، وإن كانوا أسرع إلى الخرافة من الفَراش إلى النار.

وحَسْبك من معرفة حالهم أنهم جاؤوا الضريح المذكور للوفاء بالنذور والابتهال بالدعاء! ولِمَنْ النذور؟ ولمن

الدعاء؟ إنه أول الأمر للسيد. فإذا جادلْت القوم قالوا: إنه لله عن طريق السيد البدوي.

وأكثر أولئك المغفلين لغطًا يقول لك: نحن نعرف الله جيدًا، ونعرف أن أولياءه عبيده، وإنما نتقرب بهم إليه، فهم أطهر منا نفسًا وأعلى درجة.

وهذا الكلام -على فرض مطابقته لواقع القوم- غلط في الإسلام؛ فإن الله سبحانه وتعالى لم يطلب منا أن نجيء معنا بالآخرين ليحملوا عنا حسناتنا، أو ليستغفروا لنا زلاتنا، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[الشورى:٢١]. بل المعروف من بديهيات الإسلام الأُولى أن الطلب ووسيلته جميعًا يجب أن يكونا من الله، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]، «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»[١].

(١) أخرجه البخاري (٤٢٧) ومواطن أخر، ومسلم (٥٢٨).

أليس من المضحك أن نستنجد بقوم يطلبون لأنفسهم النجدة، وأن نتوسل بمن يطلب هو كل وسيلة ليستفيد خيرًا أو يستدفع شرًّا؟ ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾[الإسراء:٥٧].

إن المسلمين لما طال عليهم الأمد نسوا الحق، والمرء قد يعذر إذا ذَهل عن شأن تافه، أو فاته استصحاب شيء هَيِّن، أما أن يذهل عن كيانه وإيمانه فهنا الطامة.

وأحسب أن القرآن الكريم يقصد إلى التنديد بهذا اللون من إفساد التوحيد عندما قال:﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا ﴾[الفرقان:١٧-١٨].

أجل، لقد نسوا الذكر، وما قام عليه الذكر من توحيدٍ شامل.

وليس يغني في الدفاع عن أولئك الجهلة من العوام أنهم

يعرفون الله، ويعرفون أنه وحده مجيب كل سؤال، وباعث كل فضل، وأن مَن دونه لا يملكون من ذلك شيئًا؛ فإن هذه المعرفة لا تصلح ولا تُقبل إلا إذا صَحِبَها إفراد الله بالدعاء والتوجيه والإخلاص؛ فإن المشركين القدماء كانوا يعرفون الله كذلك، ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾[يونس: ٣١].

ومع أنهم يقولون «الله» بصراحة وجلاء فلم يُحسبوا -بهذا القول- مؤمنين؛ لأن الإيمان: إذا عَرَفْتَ الله حقًا ألَّا تعرف غيره فيما هو من شئونه.

ولذلك يستطرد القرآن مخاطبًا هؤلاء: ﴿ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[يونس: ٣١-٣٣]».

بدع بناء الأضرحة والمساجد على القبور وشد الرحال إليها

وقال فضيلته في موضع آخر[١]:

«إن العامة عندما يشدُّون الرِّحال إلى قبور تضم رفات بعض الناس، وعندما يهرعون بالنذور والحاجات والأدعية إلى من يظنونهم أبوابًا لله، إنما يرتكبون في حق الإسلام مآثم شنيعة.

ومحبة الصالحين وبغض الفاسدين من شعائر الإسلام حقًّا، ومظاهر الحب والبغض معروفة... هي مصادقة للأحياء أو منافرة، واستغفار للموتى أو لعنة.

وأين من عواطف الحب والبغض هذا الذي يصطنعه المسلمون اليوم؟

إن الواحد منهم قد يصادق أفسق الناس، وقد يقطع والديه -وهما أحياء- ثم تراه مشمِّرًا مجدًّا في الذهاب إلى قبر

---

(١) «عقيدة المسلم» (ص ٦٤ -٦٧).

من قبور الصالحين، لا ليدعو له ويطلب من الله أن يرحم ساكن هذا القبر، بل ليسأل صاحب القبر من حاجات الدنيا والآخرة ما هو مضطر إليه، وذلك ضلال مبين!

وبناء المعابد على قبور الصالحين تقليد قديم، وقد ذكر القرآن ما يدل على شيوعه في الأمم السابقة، وفي قصة أهل الكهف تسمع قوله ﷻ: ﴿فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١].

ويظهر أن اتخاذ المساجد على القبور كبناء التماثيل، لم يكن محظورًا أول أمره إذ لم تكن له دلالة مثيرة. غير أن البشر سفهوا أنفسهم، فالأحجار التي نحتوها للعظماء عبدوها، أو -على حد تعبيرهم- اتخذوها إلى الله زلفى.

والمعابد التي أقاموها على قبور الصالحين قدسوها وسلكوها مسلك الأصنام في الشرك، فلما جاء الإسلام أعلن على هذين المظهرين من مظاهر الوثنية حربًا شعواء، وشَدَّد تشديدًا ظاهرًا في مَحق هذه المساخر المنافقة.

وقد رأينا كيف أن النبي ﷺ أرسل علي بن أبي طالب وأمره أن يُسوي بالأرض كل قبر وأن يهدم كل صنم[١]، فجَعَل الأضرحة العالية والأصنام المنصوبة سواء في الضلالة.

وقال النبي ﷺ في البيان عن سفاهة القدامى وفي التحذير من متابعتهم: «**لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٢]. «**ألَا لا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن هذا**»[٣].

وكان يرفع الخُمْرَة عن وجهه في مرض الموت ويكرر هذا المعنى، وكأنه توجَّس شرًّا مما يقع به فدعا الله: «**اللهم لا تجعل قبري من بعدي وثنًا يُعبَد**»[٤].

ومع كثرة الدلائل التي انتصبتْ في الإسلام دون الوقوع في

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٣٠) ومواطن أخر، ومسلم (٥٢٩).

(٣) أخرجه مسلم (٥٣٢).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (٤١٤) من مرسل عطاء بن يسار، وأحمد في المسند (٧٣٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ بدون قوله «يعبد».

هذا المحظور -أَقْبَلَ المسلمون على بناء المساجد فوق قبور الصالحين، وتنافسوا في تشييد الأضرحة، حتى أصبحتْ تُبنى على أسماء لا مسميات لها، بل قد بنيت على ألواح الخشب وجثث الحيوانات! ومع ذلك فهي مزارات مشهورة معمورة، تُقصد لتفريج الكرب، وشفاء المرضى، وتهوين الصعاب!

وأحب ألا أثير فتنة عمياء بهدم هذه الأضرحة، فإن النبي ﷺ امتنع عن هدم الكعبة وإعادة بنائها على قواعد إبراهيم؛ لأن العرب كانوا حديثي عهد بشرك[1].

وجماهير العامة الآن ينبغي أن تساق سوقًا رفيقًا إلى حقائق الإسلام، حتى تنصرف -في هدوء- عن التوجُّه إلى الأضرحة وشدِّ الرحال إلى ما بها من جثث.

وإخلاص المعلِّم وأسلوبه في الدعوة عليهما مُعوَّل كبير في تمحيص العقيدة مما عَلق بها من شوائب وعلل».

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٠٩)، ومسلم (١٣٣٣).

بيان التوسل المشروع والممنوع

وقال فضيلته في موضع آخر[١]:

«وقد تكون لدى البعض شُبَهٌ في معنى التوسُّل، فلنُفهمْ أولئك القاصرين أن التوسل في دين الله إنما هو بالإيمان الحق والعمل الصالح.

وقد جاء في السنة: «**اللهم إني أسألك بأنك الله الذي لا إله إلا هو، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد**»[٢]. فهذا توسل بالإيمان بذات الله.

وجاء كذلك توسُّل بالعمل الصالح في حديث الثلاثة الذين آواهم الغار[٣].

---

(١) «عقيدة المسلم»، (ص ٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٧) ومواطن أخر، ومسلم (٥٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٧٢) ومواطن أخر، ومسلم (٢٧٤٣).

وجاء توسل بمعنى دعاء المرء لأخيه بظهر الغيب[1]، ودعاء المسلم للمسلم مطلوب على أيَّة حال.

ولا نعرف في كتاب الله ولا في سنة رسوله توسلًا بالأشخاص مهما علت منزلتهم -سواء كانوا أحياء أو أمواتًا- على هذا النحو الذي أطبق عليه العامة وحسبوه من صميم الدين، ودافعوا عنه بحرارة وعنف ضد المنكرين والمستغربين».



(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٢) بلفظ: «من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل».

الأقطاب والأوتاد والنجباء لغو وخرافة صوفية باطلة

وقال فضيلته في موضع آخر بعد عرضه لكلام أحد الصوفية عن الأقطاب والأوتاد والنجباء[1]:

«قرأت هذا الوصف للكون وحركات عَالَمَي الغيب والشهادة ثم تساءلت عن هذا اللون من المعرفة: أهو ماديٌّ ألتمس أدلته من عالم الكون والحياة والطبيعة والكيمياء؟

وكان الجواب سريعًا: لا.. فإن علماء الكون والحياة لا يقررون من هذا الكلام حرفًا.

أهو دينيٌّ نلتمس أدلته من الكتاب والسنة المطهرة؟ وراجعتُ سور القرآن كلها، فلم أجد لهذا الكلام شاهدًا، وأخذت أتذكر ما أعرف من السنن التي رواها البخاري ومسلم والترمذي وأبو داوود والنسائي وابن ماجه وابن

---

(١) «مائة سؤال عن الإسلام» ص ٤١٥.

حنبل... إلخ، فلم أجد لهذا الكلام شاهدًا!

قلت: هذا الكلام رأيٌ فقهي يستند إلى أثر ضعيف عند الناس قوي عند صاحبه؟ إن هذه الآراء وجدت في علومنا، ألا ترى الأحناف يحكمون بنقض وضوء من يقهقه في الصلاة اعتمادًا على أثر أخذوا به، والشافعية يشترطون أربعين لصلاة الجمعة اعتمادًا على حديث ليِّن؟

إن أصحاب المذاهب معروفون لدينا، وقد يخطئهم غيرهم في هذه الآراء، وعلى كل حال فإن من ذهب إليها لا يتعصب لها، ولا يظن أنها الصواب الذي لا صواب وراءه، ولا يصفها بتاتًا بأنها حقائق مستيقَنة.

لكن الأستاذ الكاتب -عفا الله عنه- لا يعتمد فيما كتب على مَرويَّات قوية أو ضعيفة، ومع ذلك فهو يتهِم من يعارضه بالجهل ويوصيه بأن يمسك جهله على نفسه وحدها، وإلا فهو سيقول هرطقة أو شقشقة، أو هنبقة أو فيهقة باسم الدين المظلوم... هكذا يقول!

عجبًا، هل إذا أنكرتُ اجتماع أهل الديوان من أصحاب الوظائف الغيبية في مكة أو المدينة أو القدس -قبل احتلالها أو بعده- أتعرض لهذه التهم؟ لماذا؟ شيء لم يقله الله ولا رسوله، بل شيء نجزم أن أصحاب رسول الله ماتوا وهم لا يعرفون عنه شيئًا، يعتبر إنكاره هرطقة وهنبقة؟ لماذا؟

هل لأي إنسان يقوم الليل ويصوم النهار أن يقول لجماهير المسلمين كلامًا لا يعرفونه في مراجع دينهم ويُلزمهم باعتناقه وإلا فهم جُهَّال؟ ذاك ما نرفضه جملة وتفصيلًا.

بل إن الذي نوصي الجماهير به أن يعضوا على كتاب الله وسنة رسوله، وأن يحاكموا ما عداه إلى ما ورد وثبت؛ فمن أتى لهم بشيء من عند نفسه ردوا عليه.

وليس للخواطر أو الإلهامات أو الرؤى أو الخيالات أيُّ موقع من مصادر التشريع.

لقد قرر علم الفلك حقائق معروفة عن حركات الأرض حول نفسها وحول الشمس، فإذا جاء رجل يحلف أنه لا

خلاف بيننا على أن الله يؤتي فضله من يشاء، وأنه فضل بعض النبيين على بعض، وبعض الأمكنة والأزمنة على بعض... إلخ. لكن من أين تُعرف هذه التفصيلات ومَداها؟

الذي نقرره قاطعين أنَّ الشارع وحده مصدر هذه المعرفة. ونحن من الكتاب والسنة نعرف أَنَّ المؤمن ينظر بنور الله، وقد قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾[الحديد:٢٨].

لكن ليس من النظر بنور الله أن نفتح أبواب الرجم بالغيب لكل إنسان مهما اجتهد في عبادته وتقواه، ليقول في دين الله كلامًا لا برهان له إلا المعاناة الخاصة والكشف الذاتي.

إن قِسم السمعيات من ديننا من الأمور التي لا تُعرف إلا عن طريق المعصوم؛ فالصراط والميزان وثواب القبر وعقابه، وشئون الملأ الأعلى، وبعض الأوصاف الإلهية -كل أولئك لا ينفرد العقل بإدراكه، ولا سبيل للبشر إليه إلا بتوقيف من الشارع.

فإذا جاء امرؤ فزعم أن حَملة العرش الثمانية تحتهم ستة

عشر ملكًا ثم اثنان وثلاثون ملكًا... وهكذا، متواليات هندسية قلنا له: من أين جئت بهذا الكلام؟ ومن حقنا أن نقول له هذا. بل إننا نجرم في حق ديننا إذا لم نقل له: من أين جئت بهذا الكلام؟

فإن لم يذكر آية من كتاب الله ولا أحاديث مقبولة عن رسول الله وجب أن نمحو هذه الزيادات وأن نرفض تلك الإضافات.

ونقول دون تردد: هذا باطل فقد انتهى الوحي، ولا نسلم لبشر أن يزيد في حقائق الدين؛ بل إن الزيادة في هذا الباب لا تقل خطرًا عن وضع الأحاديث على رسول الله ﷺ، ومن حق المسلمين في المشارق والمغارب أن ينادوا: هذا وحي من عند الله فيُقبل، وهذا لغو عند الناس فيُرفض.

وإنني أعجب: لماذا يريد بعض إخواننا أن يقرن التصوف بهذه المبتدعات والغرائب المنكورة؟

إن التصوف عند رجاله الأوائل طُرق تربية نفسية صالحة، وتدريبٍ على مراقبة الله ومشاهدته فيما نفعل ونترك،

ويمكن تسميته عِلم الأخلاق الدينية؛ لأن تراثه المنتقَى لا يخرج عن هذا الإطار، وقد كان أبي رحمه الله صوفيًّا من أتباع الشيخ أبي خليل، فما عرفتُه إلا كادحًا يتقي الله في رزقه، ويقرأ كتابه في دكانه، ويعايش الناس على الأُخُوة السمحة، ولا يعرف شيئًا بعد ذلك من هذه الخيالات.

أخشى إذا حرص صوفية العصر على التشبث بغير الكتاب والسنة أن يجنوا على التصوف جملة وتفصيلًا، فيُجتاح من أصله..».



محمد بن عبد الوهاب رفع شعار التوحيد

وقال فضيلته في موضع آخر[١]:

«رفع محمد بن عبد الوهاب شعار التوحيد، وحُقَّ له أن يفعل! فقد وجد نفسه في بيئة تعبد القبور، وتطلب من موتاها ما لا يُطلب إلا من الله سبحانه.

وقد رأيت بعيني من يُقبِّلون الأعتاب ويتمسحون بالأبواب ويجأرون بدعاء فلان أو فلان كي يفعل كذا وكذا! ما هذا الزيغ؟ ما الذي أنسى هؤلاء ربهم؟ وصرفهم عن النطق باسمه والتعلق به؟ وماذا يرجو العبيد من عبد مثلهم لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا؟ إنه لو كان حيًّا ما ملك لهم شيئًا، فكيف وهو ميت؟»

---

(١) «مائة سؤال عن الإسلام» ص ٣١٣.

ضلال معظّمي القبور والأضرحة

وقال فضيلته في موضع آخر[١]:

«جاءني يومًا رجل مشهور بالإيمان والطِّيبة، وقال لي في استحياء ولوم: سمعتُ أنك هاجمت الإمام الحسين، وزوَّار ضريحه، ووصفته بما لا يليق!

فقلت له وأنا دهش: كيف؟

قال: كنت تشرح عقيدة التوحيد، فوصفتَ قاصدي القبر الشريف بكلمات رديئة، ووصفتَهم بأنهم أشخاص أعجبهم قصر منيف، فبدل أن يتَّجهوا بالإعجاب إلى بانيه، اتجهوا بمدائحهم ورغباتهم إلى إحدى دَرَج السُّلم أو إحدى سلال المهملات.

قلتُ لمحدِّثي: أَمَّا أني هاجمت الحسين، فوالله إني أحب الحسين وأباه وجِده، ووددتُ لو كان لي شرف الموت في

---

(١) «ركائز الإيمان» ص ٢٧٧.

كربلاء، أو صِفِّين، أو إحدى الغزوات!

وما خطر ببالي يومًا أن أسيء إلى رجل أو امرأة من آل البيت، وإني لأَرَى حبهم دينًا وكرههم فسقًا.

وأَمَّا أني تحدثت في عقيدة التوحيد -فنَعَمْ، ومن الرسول وآل بيته تعلمنا هذا الحديث، وقد قلت فعلًا:

إن الذي يَدَع اللهَ ربَّ العالمين، ويتجه إلى شيء من الأشياء، أو شخص من الأشخاص يطلب منه ما لا يُطلب إلا من الله فهو ضال، وقد كنت في كلامي أهاجم الوثنية، ولا أطعن في أحد، وما خطر ببالي قط أَمر الإمام الحسين.

قال: لقد كنت تخطب في الجامع الأزهر، وهو قريب من مسجد الحسين، فليس عجبًا أن يكون كلامك اعتراضًا على رُوَّاده، ولماذا تقول كلامًا يفيد ترْك الوسيلة؟

قلت: إذا أقبل أحد على الله بقلبه وشَرَع يُوجِّه العباد إليه وحده ضاقت بذلك أفئدتكم وتصيَّدتم له التهم وطلبتم منه العبث؟!

كيف تجيء إلى إنسان تعلَّقَت بالله مشاعره وارتبط به خوفه ورجاؤه لتقول له: اعرف فلانًا أو توسلْ بفلان؟

إن جماهير المسلمين لو عاشت وماتت وهي لا تعرف فلانًا هذا ما نقص إيمانُها ذرة، فكيف تقحم أنت على صلتها بالله ما لا جدوى منه -على أخفِّ الفروض-؟

يا الله، هل حديث التوحيد يجعل صاحبه ظنينًا، ويعرِّضه للقيل والقال؟

قال: كأنك تنكر كرامات الأولياء ومكانتهم عند الله

قلت: وما علاقة هذا كله بتوحيد الله وإفراده بالدعاء؟ إن للصالحين عند الله مكانة تخلِّدهم في نعيمه المقيم ورضوانه العميم، وقد بَلَغوا هذه المكانة بصدق العبودية، وإبداء الذل والاستكانة في الحضرة الإلهية، ونحن مكلَّفون أن نصنع مثلهم، أو نقترب من شأوهم إن لم نبلغه.

فما هذا التسكُّع حول أسمائهم، وابتداع أساليب في مرضاة الله ما أنزلها ولا أذن بها؟

ومرَّة أخرى، كيف تجيء إلى قلب فرغ من المخلوقين إلى الخالق، وخلص من العبيد إلى السيد، لتقول له: اقسم مشاعرك بين الله وفلان؟

وما علاقة ما يُنسب إلى هؤلاء من خوارق وبين صدق العقيدة؟ ما هذا الحمق؟!

إن الخاصة الأولى في الإسلام أنه دين التوحيد المطلق، ويظهر أن بعض الناس تهبط طبائعهم دون ذلك فيجنحون على الأوهام المجسمة لينشئوا علاقات معها، تنمو على حساب التوحيد الخالص!

وقديمًا عندما هاجم التتار بغداد سُمع بعض المغفَّلين من هؤلاء يقولون:

يَا خائفين من التَّتَرْ ... لوذُوا بقبر أبي عمرْ!

ولا أعرف أبا عمر هذا ولا قبره، وسواء كان صالحًا أو طالحًا، فإن اللياذ به لا يُغني شيئًا.

وقد سقطت بغداد، وأُعمل السيف في رقاب الرعاع اللائذين به.

وكان بعض الحشَّاشين في القاهرة يستكثر أن يحتلَّها الإنكليز وفيها قبر فلان وفلان من الأئمة!

ماذا دهى المسلمين حتى سَرَتْ بينهم تلك الخزعبلات؟ فإذا شرحت عقيدة التوحيد في أدب وتيسير جاء من يتَّهمك بعداوة الصالحين!

أما خوارق العادات التي شاع ذكرها واستفاض في ميادين التعبُّد والولاية، فأولى بالمسلمين ألا يتجاوزا بها دلالتها المحدودة، فهي -لو صَحَّت- ما كانت أمارة على قربى من الله، ورفعة درجة عنده. فكيف وأغلب هذه المرويّات نسيج خيال أو مبالغات سُذَّج؟»



حرمة بناء القبور على المساجد قطعًا لدابر الوثنية

لفضيلة الشيخ

عبد الحميد كشك رحمه الله[١]

من كبار علماء الأزهر الشريف

سُئل فضيلته رحمه الله[٢]:

ما حكم الشرع في بناء الأضرحة ونقل الموتى داخلها ووضع مقصورات عليها بحجة أنهم بعض أولياء الله الصالحين؟

فأجاب فضيلته رحمه الله:

«من حق الله تعالى على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به

---

(١) ولد فضيلته سنة ١٩٣٣م في قرية «شبراخيت» بمحافظة البحيرة، حفظ القرآن وهو دون العاشرة، وارتقى المنبر وهو في الثانية عشر. التحق بكلية أصول الدين، وكان ترتيبه الأول عليها، وعين معيدًا بالكلية سنة ١٩٥٧م، ولكنه رغب عن التدريس، واشتغل بالخطابة. مثَّل الأزهر الشريف في يوم العلم سنة ١٩٦١م، وعُين إمامًا لمسجد عين الحياة بالقاهرة سنة ١٩٦٤م، وظل يخطب فيه قرابة عشرين سنة، وهو من أكثر الدعاة والخطباء صدعًا للحق وشعبية في الربع الأخير من القرن العشرين، وقد لقي ربه رحمه الله وهو ساجد قبيل صلاة الجمعة ٢٦ رجب ١٤١٧هـ (١٩٩٦م).

(٢) «فتاوى الشيخ كشك» (٦/ ١٨).

شيئًا وقد شرع لهم من الدين أمرًا ونهيًا واستحبابًا وكراهة ما يحقق ذلك وما يُسعدهم في دنياهم وآخرتهم.

والعمل لا يكون صالحًا إلا إذا كان خالصًا لله ﷻ وموافقًا لشرعه، والموت انتقالٌ من حياة إلى حياة يفضي فيها الإنسان إلى ما قَدَّمَ، ويبقى له على مَنْ بعده الاستغفار له والترحم عليه، **ولقد استطاعت الوثنية أن تتسلل إلى الناس بوسائل كثيرة كان منها تعظيم القبور بالبناء عليها وتعظيمها والتمسح بها.**

وقد روى البخاري[1] عن ابن عباس رضي الله عنه ما خلاصته: أن الأوثان التي عبدها العرب كانت أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما أهلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كان يجلسون فيها نُصُبًا وسموها بأسمائهم.

ففعلوا، ولم تُعبَد.

حتى إذا هلك أولئك ونُسخ العلم عُبِدَتْ.

وقطعًا لدابر الوثنية: لعن رسول الله ﷺ المتخذين على

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٢٠).

القبور المساجدَ والسُّرُجَ[1]، وسأل ربَّه أن لا يجعل قبره وثنًا يُعبَد[2]، وأمر عليًّا رضي الله عنه بهدم القبور المرتفعة وطمس التماثيل، فقد بعث عليٌّ رضي الله عنه رجلًا، وقال له -كما في صحيح مسلم-[3]: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أمرني أن لا أدع قبرًا مُشْرِفًا إلا سَوَّيته ولا تمثالًا إلا طَمَسْته».

وجاء في حديث آخر صحيح عن الذين يبنون مساجد في القبور ويجعلون فيها التصاوير: «**أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**»[4].

ولم يكن في خير القرون أيَّة مشاهد أو مقصورات على القبور، وإنما ظهر ذلك وكَثُر في دولة بني بويه لما ظهرت القرامطة بأرض المشرق والمغرب، وكان بها زنادقة كفار مقصودهم تبديل دين الإسلام».

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٢٠٤٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ولفظه: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج».

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٤١٤) من مرسل عطاء بن يسار، وأحمد في المسند (٧٣٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بدون قوله «يعبد».

(٣) صحيح مسلم (٩٦٩).

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٧) ومواطن أخر، ومسلم (٥٢٨).

بدعية تقبيل المقصورات والأبواب والأعتاب والمشاهد

وسُئل فضيلته رحمه الله[١]: كثير من الناس يطوفون عند زيارة الأولياء حول الأضرحة، ويُقبِّلون المقاصير المضروبة على قبورهم، ويوفون ما التزموه من النذور لهم، ويطلبون منهم الشفاعة وقضاء الحاجات، فهل يجوز ذلك شرعًا؟

فأجاب فضيلته رحمه الله:

«إن الطواف لم يشرع إلا حول البيت المعظم تَعَبُّدًا لله -سبحانه وتعالى- وطاعة، فلم يرد عن الشارع في الكتاب أو السنة نصٌّ في الطواف حول غيره، ولم يُؤْثَرْ عن الرسول ﷺ، ولا عن الصحابة، ولا عن التابعين وتابعي التابعين -وهم خير القرون- أنْ طاف أحد منهم حول قبر عند زيارته.

فلا يجوز الطواف حول القبور، ويجب التزام آداب

---

(١) «فتاوى الشيخ كشك» (٥/ ١٧٥).

الزيارة عند حصولها؛ حتى تقع على الوجه المشروع، ولا تقترن بمحرم أو مكروه من الأعمال.

كما لا يجوز تقبيل المقاصير والشبابيك والأبواب والقباب والأعتاب والتمسُّح بها في الأضرحة والمشاهد، وكل ذلك من أعمال الجاهلية التي يَعتقد العامة أنها من باب العبادة أو المبالغة فيها.

يتقربون إلى الله بها ويرجون المثوبة عليها، وما هي في شيء منها؛ إذ إن العبادة إنما تكون بما شرعه الله وحده في كتابه أو سنة رسوله، وليس للعباد أن يشرعوا فيها ما لم يشرعه الله تعالى ورسوله ﷺ.

والمثوبة إنما تكون على الطاعات لا على المنكرات ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠] وابتدع في عبادته ما لم يأذن به الله، وكيف يرجو الثواب وهو غارق في بدعته وضلالته، مخالف لربه في هَديه وشريعته.

ومما يجب أن يُعلم أن الدعاء مخ العبادة ومظهر العبودية،

ولا تكون العبادة حقًّا ولا العبودية صادقة إلا إذا تجردتْ عن شوائب المنكرات والمعاصي وخلصت لله تعالى وحده ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

وإن الله تعالى قد طلب منَّا أن ندعوه، ووعدنا الاستجابة، فقال تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠] وإنما يستجيب في الدعاء الحق، وقد نهانا أن ندعو غيره ممن لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا؛ إذ إن الله تعالى وحده هو الذي يجيب المضطر إذ دعاه، وهو الذي يكشف السوء، وهو الذي ينفع ويضر، وهو الذي بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

وفي الحديث الصحيح: « **إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك،**

رفعت الأقلام وجفت الصحف»[١].

وفي الحديث القدسي: «**يا عبادي كلكم ضال إلا مَنْ هديتُه؛ فاستهدوني أَهْدِكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمتُه؛ فاستطعموني أُطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوتُه؛ فاستكسوني أُكْسِكُم»**[٢].

فالمؤمن يتجه الى الله تعالى بقلبه، ويدعوه وحده بما يريد فى الدنيا والآخرة، ولا يلجأ إلا إليه، ولا يدعو لذلك سواه، ويجب --مع ذلك- أن يباشر الأسباب التي أذِن الله فيها، ولا يبتدع ما لم يشرعه الله، ولم يأذَن به.

ومن أسباب إجابة الدعاء:

طاعة الله، واجتناب محارمه، والوقوف عند حدوده، والاعتصام بكتابه وسنة رسوله ﷺ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

ومن العوائق عن إجابة الدعاء:

تلبُّس الداعي بما هو مُحرَّم في دين الله، كما يشير إليه الحديث: «أَنَّى يُستجاب له ومطعمُهُ حرامٌ ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذِي من حرام»[1].

وفي الحديث الصحيح: «من عمل عملًا ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌّ»[2].

فيجب التزام هذا المنهج في الدعاء، والتأدُّبُ بأدب الإسلام فيه، واجتنابُ كل ما ينافيه من قول واعتقاد».



(١) أخرجه بنحوه مسلم (١٠١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، واللفظ لمسلم.

دعاء غير الله في البر والبحر شرك

وقال فضيلته رحمه الله في تفسير قوله تعالى[1]: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[يونس:٢٢]:

«ولا نتوجه في تفريج كروبنا وقضاء حاجتنا إلى وثن ولا صنم، ولا إلى وليٍّ ولا نبيٍّ، وفي الآية إيماء إلى أن الناس جُبلوا على الرجوع إلى الله حين الشدائد، ولكن بعض المسلمين في هذا العصر لا يدعون حين أشد الأوقات حرجًا إلا الميتين، ويتأول ذلك لهم بعض العلماء ويسمونه توسلًا... أو نحو ذلك.

قال السيد حسن الهندي في تفسيره «فتح الرحمن»: «فيا عجبًا لما حدث في الإسلام من طوائف يعتقدون في

---

(١) «في رحاب التفسير» للشيخ كشك (ص ١٦٦٢، ١٦٦٣).

الأموات، فإذا عرضت لهم في البحر مثل هذه الحالة دعوا الأموات، ولم يخلصوا لله كما فعله المشركون، كما تواتر ذلك إلينا تواترًا يحصل به القطع. فانظر -هداك الله- ما فعلت هذه الاعتقادات الشيطانية، وأين وصل بها أهلها، والى أين رمى بهم الشيطان؟ وكيف اقتادهم وتسلط عليهم حتى انقادوا له انقيادًا ما كان يطمع في مثله ولا في بعضه من عُبَّاد الأصنام إنا لله وإنا إليه راجعون».

وقال الألوسي في تفسيره[1]: «وأنت خبير بأن الناس اليوم إذا اعتراهم أمر خطير وخَطْبٌ جسيم في بر أو بحر دَعَوْا من لا يضر ولا ينفع ولا يرى ولا يسمع، فمنهم من يدعو الخضر وإلياس، ومنهم من ينادي أبا الخميس والعباس، ومنهم من يستغيث بأحد الأئمة، ومنهم من يضرع إلى شيخ من مشايخ الأمة، ولا ترى فيهم أحدًا يخص

---

(١) «روح المعاني» (٦/ ٩٣)، ط/ دار الكتب العلمية - بيروت.

مولاه بتضرعه ودعاه، ولا يكاد يمر له ببال أنه لو دعا الله تعالى وحده ينجو من هاتيك الأهوال؛ فبالله تعالى عليك قل لي: أيُّ الفريقين من هذه الحيثية أهدى سبيلًا، وأي الداعيين أقوم قيلًا؟ وإلى الله تعالى المشتكى من زمان عصفتْ فيه ريح الجهالة، وتلاطمت أمواج الضلالة وخرقت سفينة الشريعة». اهـ».



الحجة على عبّاد الأولياء

وقال فضيلته في موضع آخر [١]:

وبهذا ثبت بطلان الشرك في الألوهية، وهو عبادة غير الله مهما يكون المعبود وبطلان الشرك في الربوبية بادِّعاء وساطة المعبود في الخَلْق والتدبير، أو الشفاعة عند الله؛ إذ ليس لمعبود بذاته ولا بتأثير خاصٍّ له عند خالقه يحمله على نفع مَن شاء، ولا ضر من شاء، أو كشف ضر عنه، كما يعتقده عُبَّادُ الأولياء من البشر إلى اليوم، فكلُّ ذلك للرب وحده، ولا يُعلم إلا بوحيه، فادعاء ذلك لغيره كذبٌ لا مستند له.

وفي هذا حُجَّةٌ على زوّار الأضرحة والقبور الذين يقولون: إن هؤلاء الأولياء أحياء عند ربهم كالشهداء، فهم يضرون وينفعون لا كالأصنام، وقد جهلوا أن الله يقول للنصارى إن المسيح لا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا بعبادتهم له،

---

(١) «في رحاب التفسير» للشيخ كشك ص ١٦٥٧.

مع ما آتاه من المعجزات، وأظن أن الأمر لا يبلغ بهم أن يجعلوا السيد البدوي أو سيدنا الحسين، والسيدة زينب أفضل عند الله ولا أقرب منه، وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يخبر الناس بأنه لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [يونس:٤٩]. ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل:١]. أي: تَنَزَّهَ ربنا وعلا علوًّا كبيرًا عما يشركون به من الشفاعة والوسطاء وما يفترون عليه من أن لأحد مِن خلقه وساطة عنده، وشفاعة لديه تقربه إليه زلفى، ففي هذا تحقير لمقام الربوبية والألوهية، وتشبيه الرب بعبيده من الملوك الجاهلين.

وفي هذا إيماء إلى أن شئون الرب وسائر ما في عالم الغيب لا يُعلم إلا بخبر الوحي.



أفتى العلماء بهدم المساجد والقباب التي بنيت على المقابر

لفضيلة الشيخ

سيد سابق رحمه الله[(١)]

من كبار علماء الأزهر الشريف

قال فضيلته رحمه الله[(٢)]:

«وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها مفاسد يبكي

---

(١) ولد فضيلته في يناير سنة ١٩١٥م بمحافظة المنوفية، وأتم حفظ القرآن ولم يتجاوز تسع سنوات، ثم التحق بالأزهر، وظل يتلقى العلم ويترقى حتى حصل على العالمية في الشريعة سنة ١٩٤٧م، ثم عمل بالتدريس بعد تخرجه في المعاهد الأزهرية، ثم بالوعظ في الأزهر، ثم انتقل إلى وزارة الأوقاف في نهاية الخمسينيات متقلدًا إدارة المساجد، ثم الثقافة، فالدعوة، فالتدريب، ثم انتقل إلى مكة المكرمة فعمل أستاذًا بجامعة الملك عبد العزيز، ثم جامعة أم القرى، وأسند إليه فيها رئاسة قسم القضاء بكلية الشريعة، ثم رئاسة قسم الدراسات العليا. وأمضى حياته في التعليم والدعوة إلى الله تعالى، وله مؤلفات من أشهرها «فقه السنة»، وتوفي رحمه الله يوم الأحد ٢٣ ذي القعدة ١٤٢٠هـ.

(٢) «فقه السنة» (١/ ٤٠٢).

لها الإسلام، منها: اعتقاد الجَهَلَة فيها كاعتقاد الكفار في الأصنام، وعظَّموا ذلك فظنوا أنها قادرة على جَلْبِ النفع ودفع الشر، فجعلوها مقصدًا لطلب قضاء الحوائج، وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأل العباد من ربهم، وشَدُّوا لها الرحال وتَمَسَّحُوا بها واستغاثوا، وبالجملة إنهم لم يدَعوا شيئًا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه -فإنا لله وإنا إليه راجعون-.

ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا تجد من يغضب لله، ويغار حمية للدين الحنيف لا عالـمًا ولا متعلمًا، ولا أميرًا ولا وزيرًا ولا ملكًا.

وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا شك معه أن كثيرًا من هؤلاء القبوريين -أو أكثرهم- إذا توجهتْ عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجرًا، فإذا قيل له بعد ذلك؛ بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكَّأ وأبى واعترف بالحق، وهذا من أَبْيَنِ الأدلة على أن شركهم قد بلغ فوق

شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة.

فيا علماء الدين ويا ملوك الاسلام أيُّ رُزءٍ للإسلام أَشَدُّ من الكفر، وأي بلاء لهذا الدين أَضَرُّ عليه من عبادة غير الله، وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجبًا؟

لقد أسمعتَ لو ناديت حيّا ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو نارًا نفخت بها أضاءتْ ولكن أنت تنفخ في رماد

وقد أَفْتَى العلماء بهدم المساجد والقباب التي بنيت على المقابر. قال ابن حجر في الزواجر:

« وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور؛ إذ هي أَضَرُّ من مسجد الضرار؛ لأنها أُسِّسَتْ على معصية رسول الله ﷺ؛ لأنه نهى عن ذلك، وأمر ﷺ بهدم القبور المشرِفة، وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر، ولا يصح وقفه ونذره».



الفصل الثاني

فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف

في انحرافات سلوكية لبعض الطرق الصوفية



التقرب برقص الصوفية من آثار الزندقة
للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله[١]

من أئمة الأزهر وكبار الشافعية

قال رحمه الله[٢]:

«واستدلَّ جماعةٌ من الصوفية بحديث الباب على إباحة الغناء وسَماعه بآلة وبغير آلة، ويكفي في رد ذلك تصريح عائشة في الحديث الذي في الباب بعده بقولها: «وليستا بمغنيتين». فنفتْ عنهما من طريق المعنى ما أثبتتْه لهما باللفظ؛

---

(١) هو الإمام الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الأصل، المصري المولد والمنشأ، ولد في شعبان سنة ٧٧٣ هـ بمصر القديمة، ومات والداه وهو طفل؛ فنشأ يتيمًا، وحفظ القرآن الكريم وله تِسْعُ سنين، ثم رحل طالبًا للعلم إلى كثير من البلاد، وأتقن الكثير من العلوم، وكان يدرس ويخطب بالجامع الأزهر؛ جاء في «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة»: «ثم أرسل المستعين كتابًا ثانيًا إلى من بالقاهرة من الأعيان؛ فأرسل إلى الجامع الطولوني، فقرأه خطيبه ابن النقاش على المنبر، ثم أرسل إلى الجامع الأزهر، فقرأه خطيبه الحافظ ابن حجر على المنبر». له مصنفات عظيمة النفع من أشهرها: فتح الباري، وتوفي بمصر ثامن ذي الحجة سنة ٨٥٢هـ.

(٢) «فتح الباري» (٢/ ٤٤٢).

لأن الغناء يُطلَق على رفع الصوت وعلى الترنُّم الذي تسميه العرب النَّصْب -بفتح النون وسكون المهملة- وعلى الحداء، ولا يُسمى فاعله مغنيًا، وإنما يسمى بذلك من ينشد بتمطيط وتكسير، وتهييج وتشويق بما فيه تعريض بالفواحش أو تصريح.

قال القرطبي: «قولها: ليستا بمغنيتين. أي: ليستا ممن يعرف الغناء كما يعرفه المغنيات المعروفات بذلك، وهذا منها تَحَرُّز عن الغناء المعتاد عند المشتهرين به، وهو الذي يحرِّك الساكن ويبعث الكامن، وهذا النوع إذا كان في شِعْرٍ فيه وصف محاسن النساء والخمر وغيرهما من الأمور المحرمة لا يُختلف في تحريمه»[1].

قال: «وأما ما ابتدعه الصوفية في ذلك فمن قبيل ما لا يُختلف في تحريمه، لكنَّ النفوس الشهوانية غلبتْ على كثير ممن ينسب إلى الخير، حتى لقد ظهرت من كثير منهم فعلات المجانين والصبيان، حتى رقصوا بحركات متطابقة، وتقطيعات متلاحقة.

---

(١) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٨/ ١١).

وانتهى التَّوَاقُحُ بقوم منهم، إلى أنْ جعلوها من باب القُرَب وصالح الأعمال، وأن ذلك يثمر سنيَّ الأحوال، وهذا على التحقيق من آثار الزندقة، وقول أهل المخرِّفة، والله المستعان»[1] اهـ.

وينبغي أن يُعكس مرادهم ويقرأ: سيئ الأحوال».



(١) المصدر السابق (٨/ ١٢).

كل ما يُروى في لبس الخِرقة الصوفية باطل

وقال رحمه الله بشأن الخرقة[١]:

«إنه ليس في شيء من طُرُقها ما يثبت، ولم يرد في خبر صحيح ولا حَسَن ولا ضعيف أن النبي ﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه، ولا أمر أحدًا من أصحابه بفعل ذلك، وكل ما يُروى في ذلك صريحًا فباطلٌ.

ثم إِنَّ من الكذب المفترى قول من قال: إن عليًّا ألبس الخرقة الحسنَ البصريَّ فإن أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من عليٍّ سماعًا فضلًا عن أن يُلبسه الخرقة!».



(١) «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي (١/ ١٧٦).

إن الله ما كلفنا باتباع مشايخ الصوفية

لفضيلة الأستاذ الشيخ الإمام

محمد عبده رحمه الله

مفتي الديار المصرية

زار الأستاذ الإمام رحمه الله قرية «بهادة» في يوليو سنة ١٩٠٤م، وشهد منزل عُمدتها الشيخ عبد المؤمن موسى حوارًا خصبًا شارك فيه الأستاذ الإمام والشيخ رشيد رضا، والشيخ محمد الدلاصي من المتصوفة، وكان غرض العمدة أن يجري الحوار عن الصوفية والتصوف بين الأستاذ الإمام، والشيخ محمد الدلاصي الصوفي.

وقد حضر هذا المجلس جمع من العلماء، من بينهم: شيخ الجامع الأزهر الشيخ على البيلاوي، والشيخ أبو الفضل الجيزاوي، والشيخ سليمان العبد. وكان مما دار في الحوار ما يأتي[(١)]:

---

(١) «الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده» (٣/ ٥٤٧ - ٥٥٣).

الشيخ رشيد رضا:

يقولون إن للأولياء ديوانًا يجتمع فيه الأحياء والميتون، فما أقروا عليه فهو الذي يقع في الكون، وإننا نرى حوادث الكون في جملتها وتفصيلها منافية لمصلحة المؤمنين، حتى علتْ عليهم الملل كلها، فاستولت الدول المسيحية على معظم بلادهم، وسبقتهم في العزة والمكانة الشعوبُ الوثنية.

فإذا كان أولياء المسلمين وأنصار الدين هم المتصرفين في الأكوان، لا يجرى فيها إلا ما يجرونه، ولا يستقر إلا ما يقرُّونه، فما بالهم ينصرون الكافرين على المسلمين؟!

وكيف اعتز الإسلام بطائفة من سلفهم، ثم هو يخذل الآن باتفاق الأحياء منهم والميتين؟!

الأستاذ الإمام:

والحق أن مسألة الديوان والتصرف الباطني عند الصوفية المتأخرين هي رمز إلى ما كان عليه سلفهم عندما كانت هذه الطائفة حية عاملة؛ ذلك أن الفقهاء كانوا

يكفرون الصوفية، وكان الحكام أنصارًا للفقهاء فكان جميع أمر الصوفية مبنيًا على الكتمان، فوضعوا الرموز لعقائدهم واصطلاحاتهم وأعمالهم، وبالغوا في التستر كما هو شأن الجمعيات السرية العاملة.

وكان لهم اجتماع خفي يتباحثون فيه وينظرون في أمرهم وحمايتهم من أعدائهم، وكل ما يتفقون عليه في الباطن يسعون بتنفيذه بوسائله في الظاهر، فإذا اتفقوا على عزل حاكم، أو قتلِ ظالم، لا يَكُفون عن السعي حتى ينفد ذلك.

فهذا هو الديوان، ومعنى كون ما يجرى في الظاهر محكومًا به في الباطن. وكذلك كان شأن الباطنية -والصوفية فرقة منهم معتدلة- كما هو معلوم في التاريخ.

الشيخ محمد الدلاصي الصوفي:

س١ : الناس إمام ومأموم. فالأول متبوع، والثاني تابع لا يعدو حده. فأنا قد اتخذت الشافعي إمامًا، فإذا وجدت في مذهبه شيئًا، ورأيت في كتاب الله شيئًا يناقضه، أراني مرتاحًا

للعمل بقول الشافعي دون قول الله تعالى. مثلًا: إن الشافعي يقول بحل الذبيحة بدون تسمية، ولكن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾[الأنعام: ١٢١]، وأنا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه. ألست معذورًا بذلك؟!

س٢: إن الله فضل بعض الناس على بعض في الرزق وغيره، فإذا أعطى الله عبدًا جنيهًا، ألا يجوز لي أن أقول له أعطني ريالًا من الجنيه الذي أعطاك الله؟ وقد عَلِمنا من مشايخنا أن الله تعالى أعطى سيدي أبا الحسن الشاذلي وأبا العباس المرسي وفلانًا وفلانًا سرًّا لم يعطه لغيرهم، فأيُّ مانعٍ من أن يطلب الإنسان منهم شيئًا من هذا السر الذي أعطاهم الله، كما يطلب الريال من صاحبه بالجنيه؟

الأستاذ الإمام:

أما قولك الأول فهو خطأ كبير، وفيه خطر عظيم؛ فإن الذين أجازوا لك تقليد الإمام الشافعي أو غيره من الأئمة ﷺ، يشترطون في ذلك ألا تعرض لك شبهة في كتاب الله

تعالى، فترى أنك تعمل بنقيضه، فإن عرضت لك الشبهة وجب عليك حالًا السعي في كشفها وإزالتها، وإلا زال الإيمان؛ فإن الشك في كتاب الله تعالى كفر صريح بإجماع المسلمين، وكذلك نبذه وراء الظهر وتقديم غيره عليه.

نعم، إن الناس إمام ومأموم؛ ولكن إمام هذه الأمة واحد، وهو رسول الله ﷺ المعصوم، وإنما العلماء ناقلون ومبيِّنون عنه؛ فمتى تعارض كلامهم مع ما جاء عنه رجعنا إليه كما أمرونا، إلا أنْ يظهر لنا عدم التعارض والتناقض.

الشيخ الدلاصي الصوفي:

إنني لا أشك في كتاب الله، ولكن أعلم أن إمامي قد اطلع على الآية وفهمها أحسن مما أفهمها، ولذلك لا أراني مخالفًا لكتاب الله ولا شاكًّا فيه.

الأستاذ الإمام:

إن الله تعالى يحاسبك على ما تفهم وتعتقد، لا على ما فهم الشافعي، وأنت قلت الآن إنك ترى الآية مناقضة لقول

الشافعي، فترجيحك قول الشافعي حينئذ يقتضي أن يكون قول الله تعالى مرجوحًا، فهو عندك دون المشكوك فيه حقيقة، لأن الشك استواء الطرفين، وترجيح أحدهما يقتضي بطلان الثاني ولو ظنًّا.

فإن كنت تقلِّد الشافعي وترى الآية موافقة لقوله فلا إشكال ولا محل للسؤال.

الشيخ الدلاصي الصوفي:

إن أبا حنيفة والشافعي يختلفان في الحكم، ونتبع أحدهما ولا نرى في ذلك مخالفة للقرآن.

الأستاذ الإمام:

إذا كان الخلاف بين أبي حنيفة والشافعي، ولم يكن هناك قرآن تقرؤه وتفهم منه أنه مؤيد لقول أحدهما -فلا حرج عليك في الأخذ بقول من شئت منهما، لأنك لم تنحرف عن كتاب الله تعالى، ولم تُلقِه وراء ظهرك.

وليس هذا من السؤال الأول في شيء؛ لأن الترجيح

هناك بين قول الشافعي وقول الله ﷻ الذي تراه يناقضه، على أن المثال هناك غير صحيح، فإن الآية لا تناقض قول الشافعي، إذ النهي فيها عن متروك التسمية مقيد بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]. وقد فسروه بقوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وأما الجواب عن السؤال الثاني: فهو أننا نسلم أن الله تعالى فضَّل بعض الناس على بعض في الرزق والمواهب الظاهرة والباطنة. ولكنَّ فضل الله على عباده قسمان:

قسم مكسوب يمكن بذلُه أو البذل منه، وقسم ليس في استطاعة البشر بذله أو البذل منه كالإيمان والمعارف الوجدانية، ومنها ما يسميه الصوفية بالأسرار، فإنهم قالوا إنها أمور ذَوقيَّة لا يعرفها إلا مَن ذاقها، فلا يصح أن تُطلب ولا أن تُوهب.

إن الناس يسألون الأموات الذين يعتقدون فيهم الولاية ما قطعه الله عنهم من رزق الدنيا ومصالحها، وما لا يبذل من

ذلك بحسب الأسباب والسنن الإلهية وما يبذل، فيطلبون منهم المال وزيادة الغلة ونماء الزرع وشفاء المرضى والانتقام من الأعداء، وأمثال ذلك مما لو كان في أيديهم وصَحَّ لهم بذله كما يبذل صاحب الجنيه ريالًا منه لكان لهم في أمر الآخرة الذي هم في شاغل عنه.

الشيخ الدلاصي الصوفي:

إننا تلقينا عن مشايخنا كما تلقوا عن مشايخهم أن سيدي أبا الحسن الشاذلي وسيدي أبا العباس المرسي من أولياء الله ومن أصحاب السر والمدد، وأن تلامذتهم في حياتهم وأتباعهم بعد مماتهم يتوسلون بهم إلى الله تعالى ويطلبون منهم المدد والسر، كما نرى ذلك في كتبهم ككتب ابن عطاء السكندري وسيدي المصطفى البكري؛ فهل تقول: إن هؤلاء كانوا على ضلال أم كانوا مهتدين؟

الأستاذ الإمام: هل جاء مثل هذا الذي تنقله عن هؤلاء الأولياء في كتاب الله تعالى؟

الشيخ الدلاصي: لا.

الأستاذ الإمام: هل جاء في سنة رسول الله ﷺ؟

الشيخ الدلاصي: لا.

الأستاذ الإمام: هل نُقل مثله عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة؟

الشيخ الدلاصي: لا.

الأستاذ الإمام: هل نُقل عن التابعين والأئمة المجتهدين وقدماء الصوفية؟

الشيخ الدلاصي: لا.

الأستاذ الإمام: فخذ هؤلاء كلهم: رسول الله ﷺ وأصحابه، والتابعين والأئمة الأربعة، وقدماء الصوفية كالخراز والجنيد رئيس الطائفة، وسائر أهل القرنين الأول والثاني وضَعْهُم في كفة ميزان، وضع في الكفة الأخرى مَن ذكرتَ من المشايخ المتأخرين، واتّبع الراجح.

الشيخ الدلاصي:

ولكن.. هل نقول: إن أبا الحسن الشاذلي وأبا العباس المرسي وياقوت العرش وابن عطاء السكندري ومصطفى البكري كانوا ضالين مخالفين لهدي الله ورسوله وأصحابه؟ أم كانوا مهتدين؟

الأستاذ الإمام: إنك بعد بيان الحق تكرر هذا السؤال. تتسقطني لأقول إن كل ما يخالف هدي السلف فهو ضلال، فتخرج فتقول للعامة إن المفتي أو فلانًا يضلل كبار أولياء الله تعالى.

ولكنني لا أقول لك ذلك، بل أقول: إن الله تعالى ما كلفك باتباع هؤلاء، حتى لو مت ولم تعلم بوجودهم في الدنيا لَـمَا سألك الله تعالى يوم الحساب عنهم، ولكن كلفك باتباع كتبه ونبيه وهدي أصحاب نبيه الذين أخذوا الدين عنه مباشرة وكانوا به خير العاملين، فهل تقول: إنهم كانوا ضالين؟!

ثم إنني أقول لك: إنني أحترم أبا الحسن الشاذلي، وأنا من أهل طريقته، لم أسلك غيرها، ولكن ليس كلُّ ما ينسب إليه

يصح عنه، بل قال لي شيخي الذي سلكْت عنه الطريقة: إن هذه الأحزاب المنسوبة إلى سيدي أبي الحسن لم تصح عنه.

الشيخ الدلاصي: لكنها متواترة.

الأستاذ الإمام: كيف.. وفريق من الشاذلية ينكرها؟!

أولًا: إن الكتاب والسنة العملية منقولان بالتواتر القطعي، وما عداهما من سيرة النبي وأصحابه وسلف الأمة منقول بأسانيد معروفة يمكن بها تمييز الصحيح من غيره. وما نقل عن الشاذلي وغيره من الأولياء لا سند له يحتج به شرعًا؛ فإذا فرضنا أن كلامهم في مرتبة كلام الله ورسوله -ولا يقول بهذا مسلم- وجب ترجيح كلام الله ورسوله وكلام السلف على كلامهم، لصحة النقل، كما يُرجَّح بين الحديثين.

وكيف.. وقد اشتهر الكذب عليهم، ودس الزيادات في كتبهم، كما صرح بذلك الشعراني الذي كانوا يدسون عليه في حياته، ويزيدون في كتبه ما يخالف الكتاب والسنة ولا تزال كتبه مملوءة بهذا الدسائس؟

ولو صح عنه كل ما نسب إليه لَـمَا كان مؤمنًا بل ملبسًا يريد إفساد عقائد المؤمنين.

ثانيًا: إذا فرضنا أن النقل عنهم صحيحٌ، وأنه لا دسائس فيما يُنقل عنهم -فإننا نرجح هدي الكتاب والسنة لعصمة كتاب الله وعصمة رسوله دون غيرهما...

ثالثًا: إذا فرضنا أن هؤلاء الأولياء معصومون كالأنبياء -ولم يقل بهذا مسلم- فالأَوْلى لنا أن نؤول كلامهم، حتى ينطبق على هدي الكتاب والسنة والسلف؛ لأنه الأصل باتفاقهم وإقرارهم.

رابعًا: إذا فرضنا أن الكل في مرتبة واحدة، وأنه لا أصل ولا فرع -ولا يقول بهذا مسلم- فعلينا أن نعمل بالكتاب، لأنه واضح مبين كما وصفه الله تعالى في مواضع منه، وبالسنة لأنها بيضاء واضحةٌ كما وصفها صاحبها، وقال: «**ليلها كنهارها**»(١)، وبسيرة السلف؛ لأنهم أعلم الناس بهما.

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، وابن ماجه (٤٣)، والحاكم (١/ ٩٦).

بدع الذكر الصوفي

وقال فضيلته في موضع آخر[١]:

وهذه طلائع خيرٍ تبشِّرنا بحياة الشريعة الحقة، والسنة القويمة، وبانتصار جيش نور الهدى على كتائب ظلم البدع والضلالة، إذ وجه أولو الأمر منا نظرهم إلى تخفيض شأن البدع وإزالتها.

فلنشكر همة سعادة ناظر الأوقاف العمومية على عنايته بشأن الشرع الشريف، واهتمامه باحترام أماكن العبادة، وصيانتها عن وقوع اللهو وسيئ الأفعال.

ونُثْني كل الثناء على حضرة سيادة شيخ الجامع الأزهر ومفتي الديار المصرية[٢] الذي لا تأخذه في الحق لومة لائم، ولا يبالي في نُصرة دين الله بكثرة عدد الجاهلين؛ فلقد نسمع بعضًا من الجهلة، بل عددًا وافرًا منهم يقول: هذه سُنة وجدنا

---

(١) «الأعمال الكاملة» (٢/ ٢١)، ونشرت في جريدة الوقائع المصرية، العدد ٩٥٨، بتاريخ ٢٧ من ذي الحجة سنة ١٢٩٧هـ.

(٢) كان هذا قبل تولي الإمام محمد عبده منصب مفتي الديار المصرية.

عليها آباءنا، وأخذ العهود علينا باتباعها أشياخُنا، وطبعت على حبها قلوبُنا، وتَمَرَّنَت على القيام بها أعضاؤنا؛ فكيف يصح أن يحكم علينا بتركها؟! إن هذا لشيء عجاب!

تلك حججهم الواهية كحجج غيرهم من المبتدعين، يُهدرون دم الشريعة طوعًا لأغراضهم، وتنفيذًا لأحكام عاداتهم، ولبئس ما كانوا يصنعون، ويأبى الله إلا أن يُحق الحق على يد نصرائه الذين يفضلون تأييده على مِدْحةٍ تصدر من جاهل لا تغني من الجاه شيئًا.

ولا يتوهمنَّ مُطَّلِع على أمر نظارة الأوقاف أنَّ المنع خاصٌّ «بالباز» وطريقة «السعدية»، أو بالطبل على العموم، بل هو صريح في عموم كل فعل يوجب تشويشًا على مصل، أو إخلالًا بحرمة المسجد؛ فيدخل في المنع طريقة «المغاربة» المنسوبة للسيد «عبد السلام الأسمر» كذبًا وافتراء.

ومن شعائر بناء تلك الطريقة اتخاذ طبول متنوعة، بعضها مستطيل على شكل المدفع يحملونه على أعناقهم وقت الذكر، وله صوت أشبه بصوت المدفع أيضًا، وبعضها

مستديرٌ يعرف بالطار إلا أنه كبير ينشأ من ضربه صوت عنيف يصم الآذان.

ولا يجتمعون للذكر إلا وفي مركز دائرتهم موقد نار ليشدوا عليها جلد الطبل لتزداد ضخامة الصوت، فإذا قاموا إلى الذكر، غطوا شناعة أصوات تلك الطبول الكثيرة بضجتهم المزعجة، يجأرون بألفاظ لا مدلول لها.

وعندما يشتد خمر الأوهام في عقولهم يهيمون هيام المعاتيه، ويتجرد البعض منهم عن ثيابه ويأخذ جذوات من النار ويدخلها في فيه، ويلامس بها بدنه إظهارًا للكرامة -وحاشى أن يكون من الكرامة- كل ذلك مع حركات شديدة، واختباط غريب.

ومن عادتهم أن يأتوا بمثل هذا العمل في مسجد سيدنا الحسين بمولده، فيجتمع عليه الناس ويزدحم المتفرجون ويشوشون أذهان الزائرين، وهذا حظهم، ولا يعلم أية سنة تبيح أمثال هذه المنكرات التي يجربها الجهلة في بيوت الله المعظمة، ولا يخرج من حكم المنع أيضًا ما يُفعل من نحو

ذلك بأضرحة الأولياء رضي الله عنهم، وإن لم تكن مساجد، لمنافاتها الأدب الواجب في حقهم.

على أن الشريعة المطهرة مانعة من أن يُقرن ذكر الله بآلات لهوٍ على العموم بدون استثناء، خصوصًا وأنه لا يشك عاقل في أن قصدهم بضرب الطبول وتوقيع الذكر على نغماتها إنما هو اللهو والطرب الممنوعان شرعًا.

يرشد لذلك تضاحكهم وتلاعبهم في نفس محافلهم الموقرة، وتهاتفهم فيها على ما لا يليق بشأن الدعوة.

ولو كلف أحدهم أن يهتف بذكر الله مرة وهو وحده لم تسمح له نفسه بذلك، ولكن يحركه إلى هذا الذي يسميه ذكرًا حُبُّ الطرب والميل إلى اللعب، وأقبح شيء في هذا الباب اعتقادهم أن طاعة شهواتهم هذه طاعة لله، نعوذ بالله من الزيغ.

ولا ريب أن علماءنا -رفع الله قدرهم- سيفرحون بمنع هذه البدع فرحًا شديدًا، ويرجون من عدالة الحكومة إزالتها وأمثالها مما تنكره نصوص الشرع، ويعاب على العقول السليمة أن تقره.

ويشمل حكم المنع أيضًا الازدحامات التي تكون بالمساجد الشهيرة في أيامٍ تعرف «بالحَضْرَات» كيوميِ الأحد والأربعاء بمسجد السيدة زينب، ويومي السبت والثلاثاء ويوم عاشوراء بمسجد سيدنا الحسين؛ إذ يختلط فيه النساء بالرجال على هيئةٍ ينكرها الشرع والطبع جميعًا، ويجرى فيها من الفِعَال القبيحة ما لا يليق ذكره. ولا يدع الازدحام مكانًا لمصلٍّ يصلي فيه، ولئن وُجِدَ المكان فقَلَّمَا يستطيع أداء الأركان بدون تشويش فيها.

فهذا الأمر الذي أصدرته نظارة الأوقاف متبعة فيه إفتاء شيخ الإسلام ﷻ يعتبر أساسًا جليلًا لمنع كثير من البدع، وقد فُتح به باب من الخير لا بد من الوصول إلى غايته -إن شاء الله- وسيسري ذلك من القاهرة إلى بلاد الأرياف، فعلى الناهجين لطُرُق البدعة أن يعدلوا عنها قبل أن تمسهم يد الحق فيُجبروا على العدول غير مشكورين.

لو كان المولد حقًّا لسَبَقَنَا السلف إليه

لفضيلة العلامة المجتهد الشيخ

عبد المجيد سليم رحمه الله [١]

مفتي الديار المصرية

قال فضيلته رحمه الله [٢]:

عمل الموالد بالصفة التى يعملها العامة الآن لم يفعله أحد من السلف الصالح، ولو كان ذلك من القُرَب لفعلوه.

---

(١) فضيلته من مواليد سنة ١٨٨٢م، محافظة البحيرة، تخرَّج في الأزهر الشريف سنة ١٩٠٨م، حاملًا العالمية من الدرجة الأولى، وشغل وظائف التدريس، والقضاء، والإفتاء، ومشيخة الجامع الأزهر، ومكث في الإفتاء قرابة عشرين سنة، وله من الفتاوي ما يربو على خمسة آلاف فتوى، وتولى مشيخة الأزهر مرتين، أُقِيلَ في أولاهما؛ لأنَّه نقد الملك، ثم استقال من المنصب في المرة الثانية في ١٧ سبتمبر ١٩٥٢م، وتوفي في صباح يوم الخميس ١٠ من صفر ١٣٧٤هـ/ ٧ أكتوبر ١٩٥٤م.

(٢) «فتاوى دار الإفتاء»، فتوى (٥٨٩)، بتاريخ (أول ربيع الثانى ١٣٦١هـ - ٢٧ أبريل ١٩٤٢م).

مهازل الذكر الصوفي

فضيلة الشيخ الإمام الأكبر

محمود شلتوت رحمه الله (١)

شيخ الأزهر الشريف

سُئِلَ فضيلته رحمه الله عن: بيان المعنى المقصود من ذِكْرِ الله الذي طلبه القرآن وحَبَّبَهُ وامتدح أهله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وهل منه هذا اللونُ الذي نراه ونسمعه من بعض المنتسبين إلى طوائف الصوفية في الموالد والمجتمعات التي تُعرف عندهم باسم الحَضَرَات، وهل يصح الذكر بكلمة (أه) أو بكلمة: (لا إيلاه إيلا اللاه)؟

---

(١) ولد فضيلته بمنية بني منصور بمحافظة البحيرة سنة ١٨٩٣م، وقد تولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٥٨م، تولى عدة مناصب، منها: عضوية هيئة كبار العلماء سنة ١٩٤١م، وعضوية المجمع اللغوي سنة ١٩٤٦م، وعضوية المؤتمر الإسلامي سنة ١٩٥٧م، وعضوية مجلس الإذاعة سنة ١٩٥٠م، ومشيخة الأزهر سنة ١٩٥٨م، وتوفي في ١٣ ديسمبر ١٩٦٣م.

فقال فضيلته رحمه الله[1]:

الجواب: أن الأصل في ذكر الله هو استحضار عظمته وامتلاء القلب بجلاله وجماله، وطريقة النظر والتفكير في بديع المصنع المحكم، وآثار القدرة الباهرة، والحكمة البالغة، والسلطان النافذ، وهو بهذا المعنى أثر الإيمان الحق، وأساس المراقبة الصادقة، والباعث على كل خير، ويقابله الغفلة عن تلك العظمة؛ والغفلة عن تلك العظمة أثر لضعف الإيمان، وسبيل للرَّين على القلوب.

وكثيرًا ما يطلق على التعبير اللساني عن تلك العظمة باسمٍ من أسماء الله الحسنى التي سمَّى الله بها نفسه في كتابه، أو سماه به رسوله، وهذا هو ما يعرفه الناس اليوم من كلمة: «ذكر الله»، ولكن هذا الذكر اللساني لا يحصل صاحبه على حظ الذاكرين عند الله إلا إذا كان ترجمة معبِّرة عن الذكر القلبي. وفي غير ذلك يكون حُجة على صاحبه، وذنبًا يُحاسَب عليه.

---

(١) «الفتاوي» للإمام الأكبر محمود شلتوت ص ١٧٠.

وأشد منه في المؤاخذة هذا اللَّوْنُ الذي نراه في الموالد والمجتمَعَات المعروفة باسم (الحضرات)، وإن من يسمعه ويرى القائمين به لا يتردد في أنه نوعٌ من الهزل والتمثيل الصاخب، والصياح المنكر الذي لا يمكن أن يكون معبرًا عن خاصة ذِكْرِ الله في قلوب المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[الرعد: ٢٨].

أما الذكر بكلمة «أه» -بفتح الهمزة وسكون الهاء-: فهي لفظٌ مهملٌ ليس له معنًى في اللغة، وليس -قطعًا- من أسماء الله الحسنى التي وردتْ في الكتاب، أو صَحَّ ورودها عن الرسول ﷺ.

وذكر الله عبادة، ولا يصح لنا أن نعبده إلا بما أذن لنا أنْ نعبده به، وإذن فالذكر بها كالذكر بالأسماء المحرّفة، والمد المغير للحروف والكلمات؛ فكلاهما ذِكر فاسد وذِكر حرام، وأخشى أن يكون المتمسكون بألوان هذا الذكر من

الذين أمرنا الله بتركهم والإعراض عنهم: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ألا وإن تسمية الله بما لم يُسَمِّ به نفسه، والتحريف فيما سمى به نفسه لَـمِنْ أظهر صور الإلحاد في أسمائه.

هذا... وأرجو أن يهتم العلماء من رجال الصوفية بهذا الجانب، وأن يعملوا على منعِ الذِّكرِ بالأسماء المختَرَعة أو المحرَّفة، وأنْ يطهروا مجتمعات الذكر من صور المهازل.



النكير على بدع الطرق الصوفية في الأذكار والموالد

لفضيلة الشيخ

حسنين مخلوف رحمه الله(١)

مفتي الديار المصرية

سُئل فضيلته رحمه الله(٢):

يقوم رجال من المنتسبين للصوفية بمراسيم في الموالد الكبيرة حول الصاري، وهي أن يقف أربعة منهم، كل واحد

---

(١) ولد فضيلته بالقاهرة، يوم السبت ٦ مايو سنة ١٨٩٠م، وحفظ القرآن الكريم بصحن الأزهر، التحق بالأزهر وهو في الحادية عشرة من عمره، وتلقى دروسه في مختلف العلوم على كبار الشيوخ وكان منهم والده الشيخ «محمد حسنين مخلوف العدوي» وغيره كثير، ثُم حصل على شهادة العالمية سنة ١٩١٤ م، وعُين قاضيًا بالمحاكم الشرعية سنة ١٩١٦م، وعُين عضوًا بجماعة كبار العلماء بالأزهر سنة ١٩٤٨م، وعمل مفتيًا للديار المصرية في الفترة من سنة ١٩٤٦م حتى سنة ١٩٥٠م، وأعيد مفتيًا للديار مرة ثانية في مارس سنة ١٩٥٢م وحتى ديسمبر سنة ١٩٥٤م، وبعدها عمل رئيسًا للجنة الفتوى بالأزهر الشريف مدة طويلة، وتوفي: في إبريل سنة ١٩٩٠م.

(٢) فتاوى شرعية، لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف (ص١٦٨ -١٦٩)، الطبعة الخامسة (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، ط. دار الاعتصام.

قبل الآخر مشيرًا بذراعيه قابضًا باسطًا محرّكًا جسمه يمنةً ويسرةً قائلًا: يا الله يا الله، بصوتٍ مرتفع، ثُم يدورُ بعد ذلك طابوران، يتقدمهم المنشدُ، يصافح رجالُ كل طابور جميعَ من يقف في الحلقة، يحدث ذلك ثلاث مرات، فهل لذلك أصل في السُّنة أو في عمل السلف؟

فأجاب فضيلته رحمه الله:

نحمد الله ونستغفره ونتوب إليه مِن شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وبعد: **فاعلم أنَّه لا أصلَ في الدِّين لذِكر الله تعالى بهذه الهيئات المذكورة بالسؤال، ولم يُعرف عن السلف الصالح، ولا دعا إليه العارفون مِن أئمة الصوفية، بل هو مِن البدع السيئة التي استحدثها بَعْضُ أهل الطرق؛ جهلًا بِهَدْيِ رسولِ الله ﷺ في ذِكْرِ ربه، وهو مِن المُحرَّم شرعًا، خصوصًا إذا أَدَّى التزامُ هذه الهيئات في الذِّكر إلى اعتقاد مشروعيتها وطلبها -ولو على سبيل الندب-.**

وقد استقرَّ الآن في عقائد العامة مِن المداومة عليها، ودعوة

جهلة مشايخ الطرق إليها، ودفاعهم عنها واستمساكهم بها، أنَّها مِنَ الدِّين؛ بل مِمَّا لا بدَّ منه في الذِّكر ونيل الثواب والأجر، وهذا مما يوجب التحريم ويوقع في الإثم العظيم.

والواجب على كل قادر من العلماء والمشايخ والدعاة إلى الحق أن ينهى عنها ويزجر مَنْ يأتي بها، ويرشده إلى خطرها، وإلى أن اقتران المعصية بالطاعة مؤثِّم ومحبط للثواب.

أَمَّا الثواب الذي وَعَدَ الله به الذاكرين فإنما يكون لمن يذكره -جل شأنه- بخشوعِ القلب وخضوعِ الجوارح وحضورِ الفِكْر وشهود جلال ذي الجلال، لا بهذه الهيئات والحركات التي أنكرها الراسخون في العلم مِن أعلام الصوفية منذ ابتدعت هي وأمثالها كما يُعلم مِن الاطلاع على كثير مِن كتبهم.

وإن مقام العبودية هو المقام الأسنى الذي وصف الله تعالى به عباده المصطفين الأخيار، خاطبهم به، وشَرَّفَهم بنسبته في كثير من آي القرآن الكريم، ووصف به عباده الطائعين وعباده المخبتين، ولا يُمكن التحقُّقُ بهذا المقام، إلا

إذا وقف العبدُ بين يَدَيْ مولاه، يذكره ويناجيه، ويدعوه ويبتهل إليه بما شرعه سبحانه في عبادته، وأرشد إليه على لسان رسوله.

وهو الذي درج عليه القدوةُ مِن سلف الأمة وصلحائها، وخروج العبد عن هذا المنهج، والابتداع فيه من وسوسة الشيطان التي يبغي له بها الخذلان ويرديه بها في حمأة العصيان.

ومِن العجب أن يسكت بعض المتسبين للعلم عن إنكار هذه البدع وما إليها من الشعوذة والتدجيل الذي اعتاده بعضهم، يشهدونها ويقرونهم عليها ويجارونهم في فِعْلِهَا، بل يدافعون المنكرين لها الذائدين عن حمى الدِّين والدَّاعين إلى سبيل ربِّ العالمين وهدي إمام العابدين -نسأل الله أن يهديهم سواء السبيل-



بدعة الرقص الديني

لفضيلة الشيخ

محمد الغزالي

وكيل وزارة الأوقاف

سُئِلَ فضيلته رحمه الله[(١)]:

طائفةٌ من العُبَّاد يجتمعون على ذِكْرِ الله بأسمائه الحسنى كلها أو بعضها، وقد يَتَمَايَلُون أو يَهْتَزُّون، فما حكم هذه العبادة؟

فأجاب فضيلته رحمه الله:

هذه بدعة قديمة استحدثها بعض أصحاب المشاعر المضطربة، وقد سماها بعض الصحافيين الأجانب «الرقص الديني» وهي تسمية يحس المسلم بالخزي إذا سمعها! لأنها تجعل الإسلام أشبه بالعبادات التي يمارسها الزنوج في أفريقية وهذه فتنة مزعجة، وإهانة شديدة للإسلام..

والغريب هو ظهورها من قديم! فقد سئل الحسن البصري

---

(١) «مائة سؤال عن الإسلام» ص٣٦٦.

عن هذه المجالس فنهى عنها أشد النهي ! وقال: لم يكن ذلك من عمل الصحابة ولا التابعين، وكل ما لم يكن من عمل الصحابة ولا التابعين فليس من الدين -يقصد في شؤون العبادات- وقد كان السلفُ حُرَّاصًا على الخير وقَّافين عند حدود الله، وكانوا أحرص على الخير من هؤلاء، فنعلمُ أن ما تركوه ليس من الدين، وقد قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المائدة:٣].

قال الإمام مالك بن أنس -تعقيبًا على كلام الحسن البصري-: فما لم يكن يومئذ دينًا لن يكون اليوم دينًا[1]، وإنما يُعبد الله بما شرع، وهذا التجمُّع بالذكر والتمايل فيه لم يشرع قط فلا يصح أن يعبد الله به.

وحكى عياض عن التنيسي قال: كنا عند مالك وأصحابُهُ حوله، فجاء رجلٌ من أهل «نصيبين» يقول: يا أبا عبد الله

---

(١) انظر: «الاعتصام» (٢/ ١٨).

عندنا قومٌ من الصوفية يَأْكُلُون كثيرًا، ثم يأخذون في إنشاد القصائد، ثم يقومون فيرقصون! فقال مالكٌ: أصبيانٌ هم؟ قال: لا ! قال: أمجانين هم؟ قال لا، قوم مشائخ يذكرون الله! قال مالك: ما سمعت أحدًا من أهل الإسلام يفعل هذا؟[١]..

وقال أبو إسحاق الشاطبي[٢]: إن الاجتماع على ذكر الله بصوت واحد من البدع المحدَثة التي لم تكن في زمان رسول الله ﷺ، ولا في عصر السلف، ولا عُرفت قط في شريعة محمد وفي الحديث الصحيح: «**إنَّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[٣].

الواقع أن هذا المسلك انحرافٌ دينيٌّ مرفوضٌ، ونحن هنا نتساءل: ما الذي حمل عليه، ودفع جماعة من العابدين إليه؟

---

(١) «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» للقاضي عياض (٢/ ٥٤).

(٢) «الاعتصام» (١/ ٢٦٧).

(٣) أخرجه مسلم (٨٦٧).

عجبا لمن يتعبد بالغناء والرقص والسماع الشيطاني

لفضيلة الشيخ

عبد الحميد كشك رحمه الله

من كبار علماء الأزهر الشريف

قال فضيلته رحمه الله[١]:

ومن عجب أن بعض الناس الذين يَدّعون التعبد يتخذون الغناء والرقص والتمايل طريقًا للتعبُّد، ويتركون السماع الرحماني، ويذهبون الى السماع الشيطاني، وقد عدَّ ابن القيم لهذا السماع بضعة عشر اسمًا[٢].

وسُئل فضيلته رحمه الله[٣]:

رأيتُ قومًا يتمايلون بأجسادهم ذات اليمين والشمال بحجة إنهم يذكرون الله تعالى، فيا حَبَّذَا لو وَضَّحْتُمْ لنا آداب الذكر، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ

---

(١) «في رحاب التفسير» ص(٧٥٢١).

(٢) (الإغاثة ١/ ٢٥٦)

(٣) «فتاوى الشيخ كشك» (٤/ ٩٤- ٩٥).

قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]. أو قوله -جل شأنه-: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

فأجاب فضيلته رحمه الله:

المقصود من ذكر الله تزكيةُ الأنفس وتطهير القلوب وإيقاظ الضمائر، وإلى هذا تشير الآية الكريمة ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] أَيْ أَنَّ ذِكْرَ الله في النهي عن الفحشاء والمنكر أكبرُ من الصلاة، وذلك أن الذَّاكر حين ينفتح لربه جَنَانُهُ ويلهج بذكره لسانه -يَمُدُّهُ الله بنوره، فيزداد إيمانًا إلى إيمانه ويقينًا إلى يقينه، فيسكن قلبه للحق ويطمئن به ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

وإذا اطمأنَّ القلبُ للحق اتجه نحو المثل الأعلى، وأخذ سبيله إليه دون أن تَلْفِتَهُ عنه نوازعُ الهوى ولا دوافعُ الشهوة، ومن ثَمَّ عَظُمَ أَمْرُ الذِّكْرِ وجَلَّ خطره في حياة الإنسان، ومن غير المعقول أن تَتَحَقَّقَ هذه النتائج بمجرد لفظٍ يلفظه

اللسان؛ فإن حركة اللسان قليلةُ الجدوى ما لم تكن مواطئةً للقلب وموافقةً له، وقد أرشد الله إلى الأدب الذي ينبغي أن يكون عليه المرء أثناء الذكر فقال: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[الأعراف: ٢٠٥].

والآية تشير إلى أنه يُستحب أن يكون الذكر سرًّا لا ترتفع به الأصواتُ، وقد سمع رسول الله ﷺ جماعةً من الناس رفعوا أصواتهم بالدعاء في بعض الأسفار فقال: «**يا أيها الناس ارْبَعُوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أَصَمَّ ولا غائبًا، إن الذي تدعونه سميعٌ قريب، أقربُ إلى أحدكم من عُنُق راحلته**»(١).

كما تشير إلى حالة الرغبة والرهبة التي يَحْسُنُ بالإنسان أن يتصف بها عند الذكر.

ومن الأدب: أن يكون الذاكر نظيفَ الثوب طاهرَ البدن طيب الرائحة؛ فإن ذلك مما يزيد النفس نشاطًا، ويستقبل القبلة.

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٢٩٩٢) ومواطن أخر، ومسلم (٢٧٠٤).

بدع بعض الصوفية في الأذكار والموالد

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمود محمد مزروعة حفظه الله [١]

عميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر سابقًا

قال فضيلته حفظه الله [٢]:

لا ريب أن لِذِكْرِ الله تعالى منزلةٌ عظيمةٌ بين عبادة الله تعالى وطاعته، وإذا عرفنا أن الله ﷻ ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته فليس من شك في أن ذِكْرَ الله ﷻ هو من أعظم

---

(١) ولد فضيلته في مركز «شبراخيت» بمحافظة البحيرة سنة ١٩٣٥م، حصل على الشهادة العالية من كلية أصول الدين سنة ١٩٦٣م، ثم حصل على الماجستير سنة ١٩٦٧م، ثم الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى سنة ١٩٧١م، عمل في العديد من الوظائف حتى أصبح عميدًا لكلية أصول الدين سنة ١٩٧٨م، وعمل أستاذًا بقسم العقيدة بجامعة أم القرى، وقد كان عضوًا في مجمع البحوث الإسلامية، وكذا المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وعضوًا في جبهة علماء الأزهر، ورئيسًا لندوة العلماء بمصر، نفع الله به وأعلى في الدارين درجته.

(٢) من فتوى كتبت بخط يد فضيلته لدى الدار.

العبادات، بل هو أعظمها وأكبرها، بل إن الذكر يشمل جميع العبادات التي منها الصلاةُ والصيام والزكاة والحج، فكلٌّ منها ذكر لله ﷻ يعبِّر به المؤمن الطائع عن أنه يذكر الله سبحانه ويعبده بهذه العبادة المعيَّنة.

هذا المعنى الذي ذكرناه هو ما عَنَاهُ ربُّنَا سبحانه بقوله ﷻ: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٥]، فالذِّكر هنا له معنًى عامٌّ هو: شمولُهُ جميعَ أنواع الأعمال التي يراد بها وجه الله تبارك وتعالى على ما يقتضي الشرع الشريف.

لكن الذكر له معنًى خاصٌّ يُراد به: ما يقوم به المؤمن من أقوال يقصد بها ذِكْرَ الله ﷻ وتعظيمَه وتقديسه بذكر أسمائه وصفاته وآلائه.

هذا هو الذِّكْرُ الشرعيُّ الإسلامي الصحيح، وأبواب الذكر الشرعي في كتب الصحاح معروفةٌ بكثرة ما ورد فيها

من الأذكار المتعددة والمتنوعة، وهي شِرْعةٌ لمن أراد أن يذكر الله ﷻ ذكرا شرعيًّا بعيدا عن البدع والضلالات.

لكن الذكر الصحيح نالتْه يد البدع والضلالات، وهي يدٌ لم تترك من شرع الله شيئا إلا غيرتْ فيه، وبدلت منه، فابتدعت أذكارًا مخالفة لشرع الله تعالى كتابا وسنة وما ابتدعوا بدعة إلا قضوْا على سنة «وما أحيوْا بدعة إلا أماتوا سنة» وسنتكلم عن ذلك بإيجاز بحوله سبحانه.

والأصل في الذكر الشرعي أنه يحقق أمرين بالنسبة للمذكور سبحانه، ومثلهما للذاكر، فأما الأمران اللذان للمذكور ﷻ فهما:

الأول: تعيين لله الحق سبحانه وتحقيق له تبارك وإعلان للإيمان به، والإسلام له، والبراء من جميع الأنداد.

الثاني: ذِكْرٌ له بمحامده، وثناءٌ عليه بما هو أهله.

هذا؛ مع الإيمان بأن المذكور ﷻ غنيٌّ عن هذين الأمرين وعن غيرهما، ونفعهما إنما يعود إلى الذاكر، وقولنا: إن الذكر

يحقق أمرين للمذكور، نعني: أن الأمرين يتعلقان به ﷻ ويتصلان به، ولا نعني أبدا أنهما ينفعان إن وُجدا أو يضران إن فُقدا -جل الله وعز وتعالى وتبارك وتقدّس-.

وأما الأمران اللذان للذاكر، فهما:

الأول: إحياء الإيمان، وتَقْوِيَتُهُ، وتجديده، وتعهُّده بما يجعله في جميع الأوقات حيًّا قويا متجددا، ويتبع ذلك أن تكون آثاره وثماره قادرة عطاءة، فالقلب أرض، والذكر غيث يحيى موات القلب، ويجدد نشاطه، ويقوى إيمانه، ويجعل ذلك الإيمان فاعلا في نفس صاحبه، وثماره مؤثرة في المجتمع والآخرين.

الثاني: شكر الله ﷻ على أَنْعُمِهِ، والقيام بحق الله سبحانه من العبادة والتنزيه والتقديس على قَدْرِ الطاقة، دون عَدٍّ أو إحصاء للذكر والثناء على الله ﷻ.

والإحصاء والعد في الذكر يأتي على نوعين:

١ - المنُّ وبيان الفضل، واستحضار تعظيم ما قدم الذاكر

للمذكور سبحانه وربما تطرّق الأمر إلى استشعار العبد كثرة ما قدم لله ﷻ وذلك أَمْرٌ مذمومٌ، بل حرامٌ، بل يجعل العبد على شفا الطرد، وإحباط ما قدم، بل واستحقاقه الأوزار والآثام... وذلك ما برئ منه رسول الله ﷺ حين قال -بعد ذكر الله-: «**سبحانك، لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيْت على نفسك**».

٢- أن يكون العبد والإحصاء مطلوبين في العبادة كتسبيح الله ﷻ وتحميده وتكبيره ثلاثًا وثلاثين... أو يكون العدُّ والإحصاء معينًا للذاكر مشجّعًا ودافعًا له على إدامة الذكر... وذلك أمر لا بأس به، بل هو مطلوبٌ مرغوبٌ، أما كَوْنُ العَدِّ مطلوبًا في العبادة، فذلك لا يحصى عنه، فحكمه من حكم الذكر نفسه، وأما كونه معينا فذلك محمودٌ، وليس مذموما -كما يقوله البعض-.

والذكر الشرعيُّ ليس فيه نطق اسم الله سبحانه فقط، فليس هناك ذكر يقوم على قول القائل: الله، الله، الله -جل الله وعزَّ- فهذه طريقه لم يرد بها شرع، ولم تؤثر عن رسول الله ﷺ، ولا عن

أحد من الصحابة المهديين الهادين ﷺ أجمعين، بل هذه طريقة غير مقبولة، لا شرعًا ولا عقلاً.

أما شرعًا؛ فقد عرفنا أنها لم ترد عن سَيِّدِ الذَّاكِرين العارفين بالله، المبلِّغ عن الله سبحانه، وإنما الوارد خلافه فكل الأذكار الواردة فيها تحميدُ الله ﷻ، وتسبيحه، وتكبيره، وتعظيمه، وذكره بجميع محامده التي يكون فيها مع ذكر اسم الله ﷻ صفة من صفاته، أو نِعَمِهِ، أو آلائه.

وما يتمسك به هؤلاء الحمقى المعاتيه مما يحسبونه دليلًا على ذكر الله تعالى باسمه وحده (لفظ الجلالة) فليس فيه من دليلٌ على ضلالهم، بل فيه دليل على جهلهم وغبائهم وبَلَاهتهم من جانب، وهو أسلم الجوانب بالنسبة إليهم، أو دليل على سوء معتقدهم وشدة حِقْدِهِمْ على الإسلام والمسلمين من جانب آخر، وهو أسوأ الجوانب؛ لأنه يرمي بهم إلى العُدْوَة القصوى من الكُفْرَان والفجران.

ودليلهم الذي أَشَرْنَا إليه، وبَيَنَّا أنه دليلٌ فاسد، هو

استدلالهم بالآية من سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[الأنعام:٩١].

فهؤلاء يستدلون من الآية الكريمة بقوله الله ﷻ في الآية: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾، ويزعمون أن الله، تعالى أمرهم فقال: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ وأنهم يستجيبون لأمر الله فيقولون: ﴿اللَّهُ﴾.

وهؤلاء في استدلالهم بهذا الجزء من الآية يفعلون ما فعل اليهود، بل هم شَرٌّ من اليهود، ورَبُّنَا في الآية الكريمة أخبر عن اليهود أنهم يجعلون الكتاب الذي جاء به موسى من قِبَلِ الله ﷻ «قراطيس» أي: يقطّعونه أوراقًا، وأَوْزاعًا مفرقة، فيغيرون المعنى الذي أراده الله تعالى بتقطيع الآيات، وفَصْلِهَا، أو فصل بعضها عنها.

وهؤلاء المبتدعون الضالون يفعلون ذلك، فيَقْطعون

قول الله ﷻ ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾، عن الآية، أو عما سبق من الآية، فربنا يقول: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ ثم يقول الله ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾، أي قل: «أنزله الله»، أو: «قل الله أنزله» فلفظ الجلالة هنا فاعلٌ لِفِعْلٍ محذوف تقديره: «أنزله» أو مبتدأ لخبر محذوف تقديره «مُنْزِلُهُ» وعلى الحالين يكون لفظ الجلالة -تبارك- جزءًا من جملة فعلية: «أنزله الله» أو اسمية: «الله منزله، أو الله أنزله»، وعلى ذلك فاستدلالهم باطل، وحجتهم داحضة، وفِعْلهم بدعة، وذِكْرُهُمْ ضلالةٌ مرفوضةٌ، وكلُّهم مطرودون من رحمة الله ضالُّون إن كانوا عالمين وجهلة فاسقون إن كانوا جاهلين.

وأما عقلًا؛ فإنه من المعلوم أن كل ذي دين -حقا كان أو باطلا- لديه في دينه ما يسميه «الله» أي لديه إله يعتقد به ويؤمن به ويؤمن له، ويزعم أنه حق، والأديان الكتابية والوضعية جميعها، على ذلك فاليهود يقولون «الله» والنصارى يقولون «الله» والهندوس والبوذيون، وغير هؤلاء

وأولئك لهم جميعا إلهٌ يؤمنون به، ويقولون جميعا الله، كلٌّ بلُغَتِهِ، واختلافُ اللغة لا يغير شيئا مما قلناه، ونحن معهم نؤمن بالله، ونقول «الله».

ويأتي السؤال: ما الذي يفرق بين الله الحق -سبحانه- والآلهة الباطلة؟

إن الذي يفرق هو: ما يعتقده أصحاب كل ذي دين في إلههم من الصفات العلا، والأسماء الحُسْنَى التي تُذكر إلى جانب لفظ الجلالة، أو اسم الإله لِتَدُلَّ على معتقَد أتباعه فيه.

وهذا يعني -بوضوحٍ شديدٍ-: أنَّ الذاكر إذا قال: «الله» فقط، لم يبين عن عقيدته، ولم يعين ذلك الإله الذي يؤمن به، بل هو لم يتميز عن الآخرين بشيء، فهو يقول كما يقولون، وينطق كما ينطقون، فهو واحد منهم، فليَخْتَرْ لنفسه آية جماعة منهم؛ لأنه بذكره هذا الذي ليس عندنا ذكرا، لم يخرج عنهم، وليس على شرع الله عز وجل في شيء.

إنه لكي يكون ذاكرا الله عز وجل لا بد وأن يقرن اسم الله -

تبارك- بما ينزّه الله ﷻ ويقدّسه ويجدّد عقيدته فيه -سبحانه-.

إن العبد إذا قال: «الله» فقط، فلا يبعد أن يجد من يقول: «ماذا عنه؟ ما صفاته؟ ما أسماؤه؟ ما عقيدتك فيه؟ وهذا يعني: أَنَّ ذكره المزعومَ لم يأتِ بشيء، لا إثباتًا ولا نفيًا.

وذكر الله المزعوم الذي سبقت الإشارة إليه ليس ذكرًا شرعيًّا، بل هو بدعة ضلالة، وقد عرفنا مكان البدعة الضلالة من حديث رسول الله ﷺ المشهور.

لكن هنالك ما هو أسوأُ، وأَدْخَلُ في الضلال، وأَبْعَدُ عن الحق مما أشرنا إليه آنفًا.

فمن الذاكرين المبتدعين من لا ينطق اسم الله -تبارك اسمه- بل يُتَهْتِهُ بكلماتٍ، ويَرْجُمُ بألفاظ غير مفهومة ولا هي معلومة، وهذه مرحلةٌ تأتي في «الذكر الضلالة» بعد المرحلة السابقة التي يذكر فيها اسم الله فقط، حيث يبدأ الذاكرون الضالُّون بنطق لفظ الجلالة في هدوء، ثم مع الرقص والتمايُلِ يَمْنَةً ويَسْرَةً، ثم حين يسرجهم الشيطان

ويلجمهم ويركب؛ يتحول الجميع إلى قطيعٍ به مَسٌّ من الجن، يتمايلون ويتقافزون، وينفخون ويصرخون، ثم يصون الله ﷻ اسمه عن ألسنة هؤلاء المهابيل فتلتوي ألسنتهم عن لفظ الجلالة -تبارك- وينطقون بألفاظ غير مفهومة، تبدأ بكلمة «هُوْ» ثم تتحول إلى أف، وهف، وغير ذلك.

ثم منهم من من يكتفي بالوقوف من الضلالة والبدعة عند هذا، ومنهم من لا يكتفي حتى يُرْغِيَ ويُزْبِدَ ويقذف الزبد من فمه، وقد يُصْرَعُ، وقد ينطق بكلمات يلقيها شيطانٌ على لسانه، وعند ذلك يصيح جَمْعُ الضلالة هؤلاء مهلِّلاً مكبرا؛ فقد ظهر بينهم وليٌّ واصلٌ، وملهَمٌ كاملٌ... حيث هذه الحركات الضالة التي يستخدمهم الشيطان بها هي عند الغاغة والدهماء، والعوام والجهلاء من الأدلة القاطعة، والحجج الساطعة على أَنَّ صاحبها وليٌّ من أولياء الله -عياذا بالله-.

هذا مع أن البدائة التي عُلمتْ من ديننا ضرورةُ أنَّ الذكر مرتبطٌ بالفِكْرِ وأنَّ الله تعالى قد رَفَعَ القلم عن ثلاثة: عن النائم

حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يبلغ، وعن المجنون حتى يفيق، والجامع بين الثلاثة هو انعدام الفكر وضعف العقل أو ذَهَابُهُ، فكيف يكون ذاكرا الله ﷻ مَنْ لا فِكْر لديه ولا عقل ولا تدبر؟

فالذاكرون يذكرون ويتفكرون، وقد عرفنا أن المسلم إذا عُطِّلَ فِكْرُهُ وعُطِبَ عقلُه لسبب من الأسباب التي تجرّده عن العقل ووظيفته من الفكر والتدبر - خرج عن التكليف، ورُفِعَ القلم عنه، ودخل في جملة البُلْه والمعاتيه أو المجانين.

ولسنا نقول برفع القلم عن هذا القطيع من الزاعمين ذكرَ الله وذكرُ الله منزّهٌ عنهم، بريءٌ منهم، ولكن القلم يسجل عليهم عبثهم بذكر الله تعالى، وجرأتهم على الله ﷻ ولَعِبَهُمْ ولهوهم برب العالمين، إن الذاكر لله ﷻ يجب عليه أن يكون على حالٍ تليق بالمذكور -جل وعلا- من خشيته وتقديسه واستحضار عظمته وجلاله لكن هؤلاء بحالهم يُذَكِّرُونَنا بإخوانٍ لهم، قال الله فيهم لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾[التوبة:٦٥].

الفصل الثالث

فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف

في بعض الطرق الصوفية ورجالها



اللهم إن كان ابن عربي على هدى فالعنِّي بلعنتك

للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله

من أئمة الأزهر وكبار الشافعية

جاء في ترجمة الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله[1]:

«ومع وُفُور عِلْمِهِ، وعدم سرعة غضبه، فكان سريع الغضب في الله ورسوله... **إلى أن قال:** واتفق كما سمعته منه مرارًا أنه جرى بينه وبين بعض المحبين لابن عربي[2] منازعةٌ كثيرة في أمر ابن عربي، أَدَّتْ إلى أن نال شيخنا من ابن عربي لسوء مقالته.

فلم يسهل بالرجل المنازع له في أمره، وهدَّده بأن يغري

---

(١) «الجواهر والدرر» للإمام السخاوي (٣/ ١٠٠١).

(٢) هو محمد بن علي بن محمد بن عربي، الطائي الأندلسي، ولد سنة ٥٦٠هـ بمرسية من الأندلس، من غلاة الصوفية القائلين بوحدة الوجود، يسميه الصوفية: الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر، له كتب كثيرة في التصوف وغيره، من أهمها: «الفتوحات المكية»، و«فصوص الحكم»، فيها أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح، ولذا كفّره غيرُ واحد من الأئمة، وصنف الإمام البقاعي في كفره كتابًا سماه: «مصرع التصوف، أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي»، توفي سنة ٦٣٨ هـ. انظر: «البداية والنهاية» للإمام ابن كثير (١٣/ ١٨٢).

به الشيخ صفاء الذي كان الظاهر برقوق يعتقده، ليذكر للسلطان أن جماعة بمصر منهم فلان يذكرون الصالحين بالسوء... ونحو ذلك.

فقال له شيخنا: ما للسلطان في هذا مدخل، لكن تعالَ نتباهل؛ فقلما تباهل اثنان، فكان أحدهما كاذبًا إلا وأُصِيبَ. فأجاب لذلك، وعلَّمه شيخنا أن يقول: اللهم إن كان ابن عربي على ضلال، فالعَنِّي بلعنتك، فقال ذلك.

وقال شيخنا: اللهم إن كان ابن عربي على هدى فالعنِّي بلعنتك. وافترقا.

قال: وكان المعاند يسكن الروضة، فاستضافه شخص من أبناء الجند جميل الصورة، ثم بدا له أن يتركهم، وخرج في أول الليل مصممًا على عدم المبيت، فخرجوا يشيعونه إلى الشختور[1]، فلما رجع أحسَّ بشيءٍ مرَّ على رجله، فقال

(١) الشختور: القارب أو المركب، انظر: «نهاية الأرب» للنويري (٩/ ٢٥).

لأصحابه: مرَّ على رجلي شيء ناعم فانظروا، فنظروا فلم يروا شيئًا. وما رجع إلى منزله إلا وقد عمي، وما أصبح إلا ميتًا.

وكان ذلك في ذي القعدة سنة سبع وتسعين (وسبعمائة)، وكانت المباهلة في رمضان منها. وكان شيخنا عند وقوع المباهلة عرَّف من حضر أن من كان مبطلًا في المباهلة لا تمضي عليه سنة». انتهى.



الطرق الصوفية وما وصلت إليه

لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور

محمد حسين الذهبي رحمه الله [١]

وزير الأوقاف المصرية

أجْرَتْ جريدة الأهرام [٢] لقاءً مع فضيلته رحمه الله جاء فيه:

الأهرام: مِن حقنا أن نسأل، ماذا فعلت الوزارة لتحارب البدع في الدِّين؟

---

(١) ولد فضيلته في التاسع عشر من أكتوبر سنة ١٩١٥م في قرية مطوبس في محافظة كفر الشيخ، التحق بكلية الشريعة جامعة الأزهر وتخرج منها سنة ١٩٣٩م، وحصل على الدرجة العالمية بدرجة أستاذ في علوم القرآن سنة ١٩٤٦م من كلية أصول الدين في جامعة الأزهر، وذلك عن رسالته «التفسير والمفسرون» التي أصبحت بعد نشرها أحد المراجع الرئيسة في علم التفسير. عمل أستاذًا في كلية الشريعة جامعة الأزهر، وأعير سنة ١٩٦٨م إلى جامعة الكويت. وبعد عودته سنة ١٩٧١م عُيِّنَ أستاذًا في كلية أصول الدين، ثم عميدًا لها، ثم أمينًا عامًا لمجمع البحوث الإسلامية. ثم أصبح وزيرًا للأوقاف وشؤون الأزهر في الخامس عشر من أبريل سنة ١٩٧٥م، وذلك حتى نوفمبر سنة ١٩٧٦م، وتوفي سنة ١٩٧٧م.

(٢) جريدة الأهرام القاهرية، الجمعة: ١٩ ديسمبر ١٩٧٥م.

معالي الوزير: الوزارة تبذل جهدها، وليس لديها سلاح إلَّا الدَّعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وأعتقد أن جهودها قد أثمرتْ إلى حدٍّ ما، فإنَّ البدع السائدة الآن أقل بكثير مِمَّا كان سائدًا في الماضي، وهذا نتيجة للتوعية الدِّينيةِ التي يقوم بها الوُعَّاظُ والأئمةُ، لكن الأمر يحتاج إلى أن تُساعدنا وسائل الإعلام.

الأهرام: وهل ترى أنَّ وسائل الإعلام لا تُساعد في ذلك؟

معالي الوزير: أبدًا، ما زالت وسائل الإعلام مُبْعَدة، والوزارة تعمل وحدها.

الأهرام: والذين ينتسبون إليهم من أولياء الله الصالحين؟

معالي الوزير: الوليُّ الحق لا يُعلن عن نفسه، ولا يُعلن عن كراماته.

الأهرام: والانحرافات في بعض الطرق الصوفية؟

معالي الوزير: حقيقةً لقد اندسَّ على التصوف قوم ليسوا مِن أهله، والتصوف بريءٌ منهم، وهؤلاء استطاعوا استهواء العامَّة وخداعهم بكثير مِن الأباطيل، وفي اعتقادي أنَّ أعداء الإسلام لـمَّا

عجزوا عن إطفاء نوره لجأوا إلى وسائل خبيثة ليشوِّهوا جمال الإسلام، ووصلوا إلى غرضهم مِن طريق أمور ثلاثة:

١) ادِّعاء التصوف.

٢) ادِّعاء التشيع.

٣) تشويه الذِّكر السَّلفي.

وهؤلاء قال عنهم الإمام محمد عبده: «إنَّهم قوم تبطَّنوا الكُفر والتحفوا بالإسلام».

الأهرام: هكذا يجرُّنا الحديث مرة أخرى إلى الطُّرق الصوفية وما وصلتْ إليه؟

معالي الوزير: الصوفيّة عندنا فريقان؛ فريق لا يزال يمشي في الطريق الصحيح على أساس كتاب الله وسُنة رسوله، لا يشغلون أنفسهم إلا بالقرآن وحديث الرسول ﷺ.

وفريق أَقْحَمَ نفسه على الصوفية، فادَّعى لنفسه الولاية، ونسب كرامات، وتسلَّط على مريديه بشعوذات يحسبها بُسطاء العقول كرامات، وهؤلاء ليسوا مِنَ الدِّين في شيء، وإنَّما هم

قوم مُخادِعون، يطلبون الدُّنيا باسم الدِّين، ويَرْجُونها لأنفسهم.

الأهرام: إذن، ما دَوْر الوزارة بالنسبة لهؤلاء؟

معالي الوزير: ليس للوزارة سلطان على الطرق الصوفية، هناك المجلس الأعلى للطرق الصوفية هو المسئول، ولقد نَبَّهْنَا إلى خطورة الطريقة البرهانية، وأصدرتْ وزارةُ الداخلية قرارًا بحظر نشاطها، ومع ذلك فما زالت موجودةً، ولها مريدون بالآلاف، ولا بُدَّ أن ننقذ هؤلاء مِن ضحايا التضليل.

الأهرام: إذا كُنا بالقانون نحمي كل سلعة مِن الغش، فكيف لا نحمي -بالقانون- عقائد النَّاس وأفكارهم؟

معالي الوزير: الحق معك، ولكن المسألة لا يُمكن فيها القانون وحده، مسائل الاعتقاد تحتاج إلى ثورة متجددة لحماية الإسلام وأفكاره ومواجهة المفسدين الذين يَدَّعون الإصلاح، والمضلِّلين الذين يدَّعون الإرشاد.

الاستعمار والصوفية

لفضيلة الأستاذ الشيخ

أحمد حسن الباقوري رحمه الله [١]

وزير الأوقاف المصرية

الجـــواب

سأل مندوب جريدة الأهرام[٢] فضيلته رحمه الله عن نظرة الإسلام إلى ما اشتهر بين الصوفية من تزيين القبور وإقامة أضرحةٍ عليها، **فقال** رحمه الله:

الإسلام دين المساواة بين الأحياء، فكيف يفرق بين الموتى في أشكال القبور ومظاهرها؟

---

(١) ولد فضيلته بـ «باقور» مركز «طما» بمحافظة سوهاج سنة ١٩٠٧ م، تخرج في الأزهر الشريف، وأصبح مِن علمائه، وله تاريخ حافل في العلم والسياسة؛ عُيِّن وزيرًا للأوقاف بعد ثورة ١٩٥٢ م، نجح في إدارة وزارة الأوقاف حتى سنة ١٩٥٩ م، وفي سنة ١٩٦٤م عُيِّن مديرًا لجامعة الأزهر، وأسس «جمعية الشبان المسلمين»، توفي أثناء علاجه في لندن في ٢٧ أغسطس ١٩٨٥م.

(٢) جريدة الأهرام في ١٤/ ٢/ ١٩٥٥م.

ثم إنّ الإسلام يُقرِّر أَنَّ القبر وَقْفٌ على الميت، وإن على الذين يدفنون الميت أن يضعوا على القبر ما يشير إليه؛ لكيلا يقع من الحيِّ اعتداء على مكان أخيه الميت، فيتركه له، بعد ما ترك هذه الدنيا جميعها، واستقرَّ في حفرة صغيرة.

فإذا جاء الأغنياء، فأقاموا لموتاهم الأضرحة والقباب، وأضاءوها وحَفُّوها بالحدائق أو الأشجار -فإن الإسلام لن يقيم لهم وزنًا، بل سيُحاسِبهم على ما أَسْرَفُوا وأضاعوا مِن أموال، وعلى ما اجترأوا على الله مِن مظاهر القُربى الكاذبة الخدَّاعة.

وقد كان من تَرسُّل الأغنياء في إقامة الأضرحة والقباب، أن انصرفوا عن الجوهر إلى المظهر، فشمختْ القباب والأضرحة في أنحاء العالم الإسلامي، وسابقتْ المآذن، وأقيمت الموالد، كل هذا اكتفاء بأنه يؤدي عند الله ما قصرت عنه أنفسهم من صلاة أو صوم أو حج أو زكاة، ونتج عن ذلك أن عظَّم المسلمون أصحاب الأضرحة الكبيرة والقباب العالية.

ونحن نرى في مصر دليلًا على هذا، في أصحاب رسول الله ﷺ

الذين دُفنوا فيها، مثل عمرو بن العاص وعُقبة بن نافع، ممن لا يُوليهم المسلمون عناية مثل غيرهم من أصحاب الأضرحة والقباب العالية، مع أنهم دونهم في المكانة والقربى من الله بنص حديث رسول الله ﷺ، وإجماع أهل العلم والفقه مِن المسلمين.

هذا في مصر، وله أشباهٌ في البلاد الأخرى، فقد عرف المستعمرون والمحتلُّون هذه النقطة من الضعف، فعُنُوا -أوَّل ما عنوْا- بإقامة الأضرحة والقباب في ربوع البلاد، فانصاع الناس لهم، وأطاعوهم راضين[١].

ونحن جميعًا نعلم حيلة نابليون وخديعته للشعب المصري، ببيانه المشهور عقب احتلاله القاهرة، حين سلك السبيل إلينا بتظاهره بالإسلام واحترامه إيَّاه، وحين تَرَسَّمَ خطاه الجنرال «مينو» الذي أعلن أن اسمه «عبد الله مينو».

كذلك نحن لا ننسى خداع «لورانس» الذي نفذ إلى

(١) وما أشبه الليلة بالبارحة؛ فقد تفتّقت قريحة الشَّيطان الأمريكي عن إعادة الاحتفاء والاحتفال بتلك البدع، وجَعْلها من معالم التدين في «الشرق الأوسط الجديد»!

صميم العروبة، باستغلاله المظهر الإسلامي، واستيلائه به على أكثر الجزيرة العربية.

وبهذه المناسبة، أذكر أن أحد كبار المستشرقين حدثني عن بعض أساليب الاستعمار في آسيا، من أن الضرورة كانت تقتضي بتحويل القوافل الآتية من الهند إلى بغداد عبر تلك المنطقة الواسعة، إلى اتجاه جديد للمستعمر فيه غاية، ولم تجد أية وسيلة من وسائل الدعاية تجعل القوافل تختاره، وأخيرًا اهتدوا إلى إقامة عدة أضرحة وقباب على مسافات، وما هو إلا أن اهتزّت الإشاعات بمن فيها من الأولياء، وبما شوهد من كراماتهم، حتى صارت تلك الطرق مأهولة مقصودة عامرة[١].

وأُحب أنْ أُرسلها كلمة خالصة لوجه الله إلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، أنْ يُقلِعوا عن مظاهر المقابر؛ فإنها نعرة للفرد، ودعوةٌ إلى الأنانية، وإلى الأرستقراطية الممقوتة،

---

(١) وإن تَعْجَبْ فاعجب لحضور السفير الأمريكي بالقاهرة لمولد البدوي «بطنطا» احتفالًا بأولياء الله!!

التي قَتَلَتْ روح الشرق جميعًا، وأن يعودوا إلى رحاب الدِّين، التي تسوِّي بين الناس جميعًا أحياءً وأمواتًا، لا فَضْل لأحد على الآخر إلَّا بالتقوى، وما قَدَّمَتْ يداه للإنسانية مِن أعمال خالصة لوجه الله.



انتشار التصوف الدخيل

لفضيلة الشيخ

محمد الغزالي

وكيل وزارة الأوقاف

قال فضيلته رحمه الله[(١)]:

انتشرت مع التصوف الدخيل على الأمة الإسلامية صورٌ من الرهبانية وظِلَالٌ من الجهل بالحياة الدنيا، والعزوف عن أعبائها ومباهجها جميعًا.

وأصبحتِ الفكرة الشائعة عن الدين أنه عدوٌّ للحياة. وأَنَّ وظيفته الأولى هي إعدادُ الناس لاستقبال الدار الآخرة بأنواعِ المراسم وأشكال الطاعات.

وأنه -إن لم يزهد أتباعه في هذه الحياة- فهو لا يبالى بتجهيلهم فيها وانصرافهم عنها، وربما يعد ذلك من كمال التقوى وأمارات حب الله.!

وهذه التصورات كلها خيالٌ مرضيٌّ.

والذي يُطالع القرآن والسنة وسيرةَ الخلافة الراشدة وكُتُب الأئمة المتبوعين -يدرك أن الإسلام أَبْعَدُ ما يكون عن هذا الحُمْقِ».

---

(١) «حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة» ص ٢٢٠.

سخافات ابن عربي هي الكفر بعينه

وقال فضيلته في موضع آخر [1]:

إنني ألفت النظر إلى أن المواريث الشائعة بيننا تتضمن أمورًا هي الكفر بعينه..

لقد اطلعت على مقتطفات من «الفتوحات المكية» لابن عربي فقلت: كان ينبغي أن تسمى «الفتوحات الرومية»! فإن الفاتيكان لا يطمع أن يدسَّ بيننا أكثر شرًّا من هذا اللغو.

يقول ابن عربي في الباب (٣٣٣) بعد تمهيد طويل: «إن الأصل الساري في بروز أعيان الممكنات هو التثليث! والأحد لا يكون عنه شيء ألبتة! وأول الأعداد الاثنان، ولا يكون عن الاثنين شيء أصلًا، ما لم يكن ثالث يربط بعضها ببعض فحينئذ يتكون عنها ما يتكّون، فالإيجاد عن الثلاثة والثلاثة أول الأفراد».

---

(١) «تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل» ص ٦٠ - ٦١.

لم أقرأ في حياتي أقبح من هذا السخف، ولا ريب أن الكلام تسويغٌ ممجوجٌ لفكرة الثالوث المسيحيِّ(١)، وابن عربي مع عصابات الباطنية والحشاشين الذين بَذَرَتْهُمْ أوربا في دار الإسلام أيام الحروب الصليبية الأولى؛ كانوا طلائع هذا الغزو الخسيس.

من قال: إن الواحد لا يكون منه شيء أصلًا؟ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾[الزمر:٦٢-٦٣]، وفي دنيا الناس يسأل كل واحد عما يفعل ويترك، ويتفاوت آحاد البشر في قدراتهم وخبراتهم حتى يقول ابن دريد:

والناس ألف منهم كواحد ... وواحد كالألف إن أمر عنى!

ومن قال: إن أول العدد الاثنان؟

---

(١) ولهذا الإلحاد والقول بوحدة الأديان يبحث الغرب اليوم عن تراث ابن عربي، ويحاولون بعثه في الأمة.

وهل تكوَّن الاثنان إلا من ازدواج الواحد؟ !

ثم من قال: إن الاثنين لا يكون عنهما شيء أصلًا؟

وإذا كان هو لم ينشأ من أمه وأبيه معًا فمم نشأ؟!!

ولكن ابن عربي يمضي في سخافاته فيقول -عن عقيدة التثليث-: «من العابدين من يجمع هذا كله في صورة عبادته وصورة عمله، فيسري التثليث في جميع الأمور لوجوده في الأصل»!

ويبلغ ابن عربي قمة التغفيل عندما يقول: «إن الله سَمَّى القائل بالتثليث كافرًا أي ساترًا بيانَ حقيقة الأمر فقال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[المائدة:٧٣] .

فالقائل بالتثليث سَتَرَ ما ينبغي أن يكشف صورته، ولو بَيَّنَ لقال هذا الذي قلناه»!!

واكتفى الأحمقُ بذكر الجملة الأولى من الآية، ولم يُردفْها بالجملة الثانية: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[المائدة:٧٣]، وذلك للتلبيس المقصود!

هذا الكلام المقبوح موجودٌ فيما يسمَّى بالتصوف

الإسلامي! وعوام المسلمين وخواصهم يشعرون بالمصدر النصراني الواضح لهذا الكلام..

ومما يلفت النظرَ أن معهد الدراسات الإسلامية بجامعة السوربون قد اتفق مع إحدى العواصم العربية على طَبْعِ «الفتوحات» وإخراجها في بضعة وثلاثين جزءًا.

لحساب مَنْ يتم هذا العمل في هذه الأيام العصيبة؟[1]

على أي حال نحن نريد العودةَ بأمتنا إلى ينابيعها العلمية الوثيقة، ونناشدها ألا تقبل من التوجيهات إلا ما اعتمد على الوحي الصادق، ولدينا -ولله الحمد- كتابٌ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا مِنْ خلفه، وسنةٌ تَوافَرَ الحفاظ والفقهاء على ضبطها على نحوٍ لم يقع نظيرُهُ لتراث بشر.

---

(١) لو قال الشيخ رحمه الله هذا الكلام على ما يجري اليوم على أرض مصر وفي القاهرة لكان أولى وأحرى!!

استعانة الحلاج الصوفي بالشياطين

لفضيلة الشيخ

عبد الحميد كشك رحمه الله

من كبار علماء الأزهر الشريف

قال فضيلته رحمه الله أثناء الكلام عن ألاعيب الشياطين بالإنسان لغوايتهم[1]:

وقد تقوم بأكثر من ذلك، فتَحْمِلُ الإنسان، وتطير به في الهواء، وتنقله من مكان إلى مكان، وقد تأتي له بأشياء ويطلبها، ولكنها لا تفعل هذا إلا بالضالين، الذين يكفرون بالله رب الأرض والسموات، أو يفعلون المنكرات والموبقات، وقد يتظاهر هؤلاء بالصلاح والتقوى، ولكنهم في حقيقة أمرهم مِنْ أَضَلِّ الناس وأفسقهم، وقد ذكر القُدَامى والمحدثون من هذا شيئًا كثيرًا لا مجال لتكذيبه والطعن فيه لبلوغه مبلغ التواتر.

---

(١) «في رحاب التفسير» للشيخ كشك ص ٧٥٢٣.

فمن ذلك ما ذكره ابن تيمية عن الحلاج[١] قال: «وكان صاحب سيما وشياطين تخدمه أحيانا، كانوا معه (بعض أتباعه) على جبل أبي قبيس، فطلبوا منه حلاوة، فذهب إلى مكان قريب منهم وجاء بصحن حلوى، فكشفوا الأمر فوجدوا ذلك قد سرق من دكان حلاوي باليمن، حمله شيطان من تلك البقعة»[٢].

قال: «ومثل هذا يحصل كثيرا لغير الحلاج ممن له حال شيطاني، ونحن نعرف كثيرا من هؤلاء في زماننا وغير زماننا»[٣].

---

(١) هو الحسين بن منصور، وكنيته: أبو مغيث، من أهل بيضاء بفارس، ونشأ بواسط بالعراق، ودخل مكة وصَحِبَ جماعة من الصوفية، والصوفية مختلفون فيه، وكان أكثر الصوفية جرأة على إظهار العقيدة الباطنية الاتحادية، ادعى أنه لا يعرف حقيقة التوحيد إلا اثنان: فرعون وإبليس، وأظهر من كلمات الكفر ووحدة الوجود ما جعل الفقهاء يفتون بوجوب قتله، فقُتل سنة ٣٠٩هـ، وصلب على جسر بغداد. انظر: «البداية والنهاية» للإمام ابن كثير (١١/ ١٥٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٣٥/ ١١٢)

(٣) المصدر السابق (٣٥/ ١١٢).

وقال فضيلته في موضع آخر[(١)]:

وقد ألف ابن تيمية مؤلَّفًا عظيما إذا عرفْتَهُ تبين لك الفارق الكبير بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان؛ بحيث لا يشتبه عليك بعد ذلك أَمْرُ أولياء الشيطان وقد أسماه: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان».



(١) «في رحاب التفسير» للشيخ كشك ص ٧٥٢١.

بعض ممارسات الطرق الصوفية

شرك بالله وكفر

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد سيد طنطاوي رحمه الله [١]

شيخ الأزهر الشريف

جاء في جريدة الدستور المصرية ما نصه[٢]:

«وكان الدكتور «محمد سيد طنطاوي» شيخ الأزهر قد أعلن - أمس الأول - في رده على سؤال حول رأيه في الصوفية

---

(١) ولد فضيلته بقرية سُلَيم الشرقية بمحافظة سوهاج سنة ١٩٢٨م، تلقى تعليمه الأساسي بقريته، ثم التحق بمعهد الإسكندرية الديني سنة ١٩٤٠م، وبعد انتهاء دراسته الثانوية التحق بكلية أصول الدين، وتخرج فيها سنة ١٩٥٠م، ثم حصل على تخصص التدريس سنة ١٩٥٩م، ثم حصل على الدكتوراه في التفسير والحديث سنة ١٩٦٦م، وعُين مدرسًا بكلية أصول الدين سنة ١٩٦٨م، ثم عميدًا لكلية أصول الدين بأسيوط سنة ١٩٧٦م، ثم عميدًا لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين سنة ١٩٨٥م، وعين مفتيًا للديار المصرية سنة ١٩٨٦م، ثم عين شيخًا للأزهر سنة ١٩٩٦م، وتوفي سنة ٢٠١٠م.

(٢) جريدة الدستور، الخميس: ١١ فبراير ٢٠١٠م.

خلال افتتاح الموسم الثقافي لمدينة البعوث الإسلامية للطالبات أن هناك بعض الممارسات الصوفية التي تهدف إلى الحصول على كرامات للبشر وإلى عبادة البشر لبعضهم لا تكون صوفية؛ بل هي كفرٌ وشرك بالله تعالى وانحرافٌ عن المنهج الصحيح للدين الإسلامي وأن الصوفية أنواعٌ وليست كلها صحيحة».

ونقلت الجريدة تأييد كبار علماء الأزهر الشريف لهذه الفتوى فأوردتْ ما نَصُّهُ:

«فقد أكد الدكتور «محمد عبدالمنعم البري»[(١)] -رئيس

---

(١) ولد فضيلته سنة ١٩٣٢م في مدينة الخانكة بمحافظة القيلوبية، التحق بالأزهر الشريف وأتم حفظ القرآن الكريم في الحادية عشرة من عمره، ثم التحق بكلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر الشريف، وتعين بها معيدًا، ثم حصل على درجة الماجيستير، ثم درجة العالمية (الدكتوراه)، ثم ارتقى أستاذًا مساعدًا، ثم أستاذًا بالجامعة، ترأس جبهة علماء الأزهر الشريف، وهو كذلك رئيس مركز الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر الشريف.

جبهة علماء الأزهر- أن كلام «طنطاوي» حقيقة، وأن هناك بعض الممارسات الصوفية لا يقبلها الإسلام، وهي شركٌ بالله تعالى مثل التشفُّع بالقبور وأصحابها والحصول على الكرامات عن طريق الأموات».



بدع الصوفية لا أساس لها من الإسلام

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد رأفت عثمان(١)

عضو مجمع البحوث

وقال فضيلته (٢):

«صور التصوف التي نشاهدها الآن تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية مثل: التبرُّك بزيارة القبور، واللجوء إلى

---

(١) أستاذ الفقه المقارن، وعميد كلية بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة حاليًا، وعميد كلية الشريعة والقانون بطنطا سابقًا، وعضو مجمع البحوث الإسلامية، وعضو بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر. رشحته جامعة الأزهر الشريف مرتين لجائزة الدولة التقديرية لسنة ١٩٩٥ - ولسنة ١٩٩٧م، واختاره مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية التابع لمؤسسة صحيفة الأهرام، في تقريره عن الحالة الدينية في مصر، الصادر سنة ١٩٩٨، أحد أربعة مجددين، كانوا أساتذة، أو تخرجوا من كلية الشريعة، بجامعة الأزهر الشريف، هم طبقًا لترتيبهم في التقرير: صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت، شيخ الأزهر السابق، وصاحب الفضيلة الدكتور نصر فريد واصل، مفتي مصر الأسبق، والدكتور محمد رأفت عثمان، وخالد محمد خالد.

(٢) جريدة الدستور، الخميس: ١١ فبراير ٢٠١٠م.

صاحب القبر، وذكر الله تعالى بطريقة منافية لجلاله ﷻ، والرقص والتمايل يمينًا ويسارًا، وادعاء أتباع ومريدين لمشايخ الطرق الصوفية في الريف والمدن أن لهم كرامات، وأنهم مباركون وعلى صلة بالله تعالى، كل هذا لا أساس له من الإسلام، حتى أصحاب المساجد الذين يدعون أنهم أولياء عند الله لا نعلم مدى قبولهم عند الله، ولا يمكن أن نقطع بذلك وأتباع هذه الطرق يستغلون ذلك للترويج لأهدافٍ تخصهم، بعيدة عن التصوف والتقرب إلى الله».



الصوفية بين الاتباع والغلو

لفضيلة الشيخ الدكتور

يوسف القرضاوي حفظه الله [(١)]

من كبار علماء الأزهر الشريف
ورئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

سئل فضيلته حفظه الله [(٢)]: ما حقيقة الصوفية والتصوف؟ وما موقف الإسلام منه؟ نسمع أن من الصوفيين من خدم الإسلام بالعلم والعمل، ونسمع أن منهم من هدم الإسلام بالبدع والضلالات،

---

(١) ولد فضيلته في مصر سنة ١٩٢٦م، وحفظ القرآن الكريم وهو دون العاشرة، وحصل على الشهادة العالية من كلية أصول الدين سنة ١٩٥٣م، وعلى إجازة التدريس سنة ١٩٥٤م، وكان ترتيبه الأول في كلتيهما، وفي سنة ١٩٦٠م حصل على الدراسة التمهيدية العليا المعادلة للماجستير في شعبة علوم القرآن والسنة من كلية أصول الدين، كما حصل على الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى سنة ١٩٧٣م، وكان عميدًا لكلية الشريعة بقطر، وهو عضو بالمجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي بمكة، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن، ومجلس أمناء الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، ومنظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم، ورئيس لهيئة الرقابة الشرعية في عدد من المصارف الإسلامية، ورئيس المجلس الأوربي للبحوث والإفتاء، ورئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

(٢) «حقيقة التوحيد» للدكتور يوسف القرضاوي ص(٤٤-٤٦).

فما الفرق بين هؤلاء وأولئك؟

فأجاب فضيلته ﷀ:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

التصوف: اتجاه يوجد في كل الأديان تقريبًا. اتجاه إلى التعمق في الجانب الروحاني، وزيادة الاهتمام به. يوجد هذا في بعض الأديان أكثر منه في أديان أخرى.

في الهند.. هناك فقراء الهنود، يهتمون بالناحية الروحية اهتمامًا بالغًا، ويجنحون إلى تعذيب الجسد من أجل ترقية الروح وتصفيتها -بزعمهم-.

وكذلك في المسيحية، ولا سيما في نظام الرهبانية. وفي فارس، كان هناك مذهب ماني. وعند اليونان ظهر مذهب الرواقيين. وفي بلاد أخرى كثيرة، ظهرت النزعات الروحية المتطرفة، على حساب الناحية الجسدية أو المادية.

والإسلام حينما جاء -جاء بالتوازن بين الحياة الروحية والحياة الجسدية والحياة العقلية؛ فالإنسان -كما يتصوره

الإسلام- جسمٌ وعقلٌ وروحٌ. ولا بد للمسلم أن يعطي كل جانب من هذه الجوانب حَقَّهُ.

وحينما رأى النبي ﷺ أن مِنْ أصحابه من يغالي في ناحية من النواحي زَجَرَهُ، كما حدث لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فقد كان يصوم ولا يفطر، ويقوم فلا ينام، وترك امرأته وواجباته الزوجية. فقال له النبي ﷺ: «**يا عبد الله إن لعينك عليك حقًّا، وإن لأهلك عليك حقًا، وإن لزوجك عليك حقًّا، وإن لبدنك عليك حقًّا، فأعطِ كل ذي حق حقه**»(١).

وحينما ذهب فريق من أصحاب النبي ﷺ يسألون أزواجه عن عبادته، فكأنهم تقالُّوها، فقال بعضهم لبعض: وأين نحن من رسول الله ﷺ؟ لقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثاني: وأنا أقوم الليل فلا أنام، وقال الثالث: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج. فبلغ

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩).

النبيَّ ﷺ مقالتَهم، فجمعهم، وخطب فيهم، وقال: **«أما إني أعلمكم بالله وأخشاكم له، ولكني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني»**[1].

فمن هنا جاء الإسلام بالتوازُن في الحياة، يعطي كل ناحية حقها، ولكن الصوفية ظهروا في وقت غلب على المسلمين فيه الجانب المادي والجانب العقلي.

الجانب المادي نتج عن الترف الذي أغرق بعضَ الطبقات، بعد اتِّساع الفتوحات، وكثرة الأموال، وازدهار الحياة الاقتصادية، مما أورثتْ غلوًّا في الجانب الماديِّ. مصحوبًا بغلوٍّ آخر في الجانب العقلي، أصبح الإيمان عبارة عن «فلسفة» و«علم كلام» و«جدل»، لا يُشبع للإنسان نهمًا روحيًّا.

حتى الفقه أصبح إنما يُعنَى بظاهر الدين لا بباطنه، وبأعمال الجوارح. لا بأعمال القلوب وبمادة العبادات لا بروحها.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، وبنحوه أخرجه مسلم (١٤٠١).

ومن هنا ظهر هؤلاء الصوفية ليَسُدُّوا ذلك الفراغ، الذي لم يستطع أن يشغله المتكلمون ولا أن يملأه الفقهاء، وصار لدى كثير من الناس جوعٌ روحيٌّ، فلم يُشبع هذا الجوع إلا الصوفيةُ الذين عُنُوا بتطهير الباطن قبل الظاهر، وبعلاج أمراض النفوس، وإعطاء الأولوية لأعمال القلوب وشغلوا أنفسهم بالتربية الروحية والأخلاقية، وصرفوا إليها جُلَّ تفكيرهم واهتمامهم ونشاطهم. حتى قال بعضهم: التصوف هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في التصوف.

وكان أوائل الصوفية ملتزمين بالكتاب والسنة، وَقَّافِينَ عند حدود الشرع، مطاردين للبدع والانحرافات في الفكر والسلوك.

ولقد دخل على أيدي الصوفية المتبعين كثير من الناس في الإسلام، وتاب على أيديهم أعدادٌ لا تُحصى من العصاة، وخلّفوا وراءهم ثروةً من المعارف والتجارب الروحية لا يُنكرها إلا مكابرٌ، أو متعصبٌ عليهم.

غير أن كثيرًا منهم غَلَوْا في هذا الجانب، وانحرفوا عن

الطريق السويِّ، وعُرفتْ عن بعضهم أفكارٌ غير إسلامية، كقولهم بالحقيقة والشريعة، فمَنْ نظر إلى الخلق بعين الشريعة مَقَتَهُمْ، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم.

وكان لهم كلامٌ في أَنَّ الأذواق والمواجيدَ تعتبر مصدرًا من مصادر الحكم، أي أَنَّ الإنسان يرجع في الحكم إلى ذوقه ووجدانه وقلبه، وكان بعضهم يعيب على المحدِّثين لأنهم يقولون: حدثنا فلان، قال وحدثنا فلان، ويقول الصوفي: حدثني قلبي عن ربي، أو يقول: إنكم تأخذون علمكم ميتًا عن ميت، ونحن نأخذ علمنا عن الحي الذي لا يموت، أي أنه متصل -بزعمه- بالسماء مباشرة!!

فهذا النوعُ من الغلوِّ، ومثله الغلو في الناحية التربوية غلوًّا يضعف شخصية المريد كقولهم: إن المريد بين يدي شيخه كالميت بين يدي غاسله، ومَنْ قال لشيخه: لمَ؟ لا يفلح. ومن اعترض انطرد!!

هذه الاتجاهات قتلت نفسيات كثير من أبناء المسلمين،

فسرت فيهم روحٌ جبريةٌ سلبيةٌ، كاعتقادهم القائل: أقام العباد فيما أراد.. دع الملك للمالك، واترك الخلق للخالق..

يعني بذلك: أن يكون موقفه سلبيًا أمام الانحراف والفساد وأمام الظلم والاستبداد، وهذا أيضًا من الغلو والانحرافات التي ظهرت عند الصوفية.

ولكن كثيرًا من أهل السنة والسلف قوَّم علوم الصوفية، بالكتاب والسنة، كما نبه على ذلك المحققون منهم، ووجدنا رجلًا كابن القيم يَزِنُ علوم القوم بهذا الميزان الذي لا يختل ولا يجور، ميزان الكتاب والسنة. فكتب عن التصوف كتابًا قيمًا، هو كتاب: «مدارج السالكين إلى منازل السائرين». ومدارج السالكين هذا عبارةٌ عن شَرْحٍ لرسالة صوفية صغيرة اسمها «منازل السائرين إلى مقامات: إياك نعبد وإياك نستعين» لشيخ الإسلام إسماعيل الهروي الحنبلي.

هذا الكتاب من ثلاثة مجلدات، يرجع فيه إلى الكتاب والسنة، ونستطيع أن نقرأه ونستفيد منه باطمئنان كبير.

والحقيقةُ أَنَّ كل إنسان يؤخذ من كلامه ويترك، والحكم هو النص المعصوم من كتاب الله ومن سنة رسوله.

فنستطيع أنْ نأخذ من الصوفية الجوانبَ المشرقة، كجانب الطاعة لله. وجانب محبة الناس بعضهم لبعض، ومعرفة عيوب النفس، ومداخل الشيطان، وعلاجها، واهتمامهم بما يرقق القلوب، ويذكّر بالآخرة.

نستطيع أن نعرف عن هذا الكثير عن طريق بعض الصوفية كالإمام الغزالي، مع الحذر من شطحاتهم، وانحرافاتهم، وغَلْوَائِهِمْ، ووزن ذلك بالكتاب والسنة، وهذا لا يقدر عليه إلا أهل العلم وأهل المعرفة.

ولهذا أنصح الرجل العادي بأن يرجع في معارفه إلى المسلمين، العلماء السلفيين المعتدلين الذين يرجعون في كل ما يقولون إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ. والله أعلم.

علماء البدع وشيوخ الفساد

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمود محمد مزروعة حفظه الله

عميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر سابقًا

قال فضيلته حفظه الله (١):

والمصيبة في العلماء أنواعٌ وألوانٌ، فمنهم من سخّر دينَه لجمع المال، ومنهم من استعمل عِلْمه للوصول إلى منصب، ومنهم من مصيبتُهُ التَّزلُّفُ والتقرُّب للسلطان، وتلك مصيبةُ المصائب، فكلُّهُمْ طُلَّاب مال، أو جاه، أو منصب، أو حَظْوَةٍ عند الحاكم، ولَفْظَةُ «أو» هنا بمعنى الواو فهم لا يشبعون، ولا يقفون بأطماعهم الدنيوية عند حد ينتهون إليه، وتحديدًا في التَّزلُّفُ للحكام وأصحاب السلطان.

وكل عالم له مستوًى من أصحاب السلطان يعمل على الوصول إليه، وأكثرُهُم طموحًا وطمعًا وتطلُّعًا، إنما هو

(١) من فتوى كتبت بخط يد فضيلته.

الطامح إلى الحاكم، تزلُّفًا له، وثناء عليه، وتقرُّبًا منه، ورجاءً فيما عنده، وطمعًا في المنصب الملائم لمنزلة الحاكم من جانب، وللكمِّ الهائل من التَّزلُّفُ والنفاق والتَّملُّق الذي بذله ويبذله ذلك العالم، أو هذا النوع من العلماء من جانب آخر؛ ولذا أُثِرَ عن كثير من سَلَفِنَا أن العالم إذا اتصل بالحاكم لا تُقبل شهادته، والمقصود هنا الـمُجَالِسُ له الملازم معه؛ لذلك يختلف العلماء على بعضهم، ويقع التناحُرُ بينهم في السباق إلى رضا الحاكم، وحين يخلو منصبٌ من المناصب الدينية الكبرى فإن العلماء بدل أن يبتعدوا عنه، ويَخْشَوُا الله منه، ويرهبوه من شدة وعِظَم المسئولية فيه أمام الله -وهذا أمر بدهي باعتبارهم علماء- فإنهم بدلا من ذلك يتسابقون، وكلٌّ منهم يعرض ما عنده للبيع والتضحية، وليس لديهم ما يبيعون أو يُضَحُّون إلا دينَ الله والعلم بكتاب الله وسنة نبيه، ولذلك ينظر الحاكم في الرؤوس التي قد أطلّتْ من جحورها طالبةً المنصب، وينظر في أكثرهم استعدادًا لبيع دينه في سبيل الكرسيِّ، ثم يختار

ويُصدرُ قرارَ تعيين العالم في المنصب.

وللحاكم مسوّغات تعيين، تتناسب مع أهدافه وطلباته من العالِم، ويقينا ليس من بين تلك المسوغات الدينُ والخلقُ والعلمُ والالتزامُ... بل كل هذه عواملُ طَرْدٍ، ودواعي نفور، أما عوامل ومسوغات الاختيار فشيءٌ آخر... ونحسبُ أن المعنى قد وضح، فلا إطالة -وحسبنا الله ونعم الوكيل-.

ولم يقف الأمر عند هذا الجانب السلبي في إفساد عوامل الهداية التي مَنَّ الله تعالى بها على العباد من إنس وجن -ولكن كان من نتيجة هذا أن امتلأت الساحة على المسلمين بما لا يُحصى من دعاة الضلال، وعلماء البدع وشيوخ الفساد والإفساد، هؤلاء الذين تربصوا بكل حكم شرعي فأبطلوه أو هَوَّنُوا منه، وبكل سنة فاستبدلوا بها بدعة، ولم يقفوا عند حد الأصول التي بدلوها وغَيَّرُوها، بل أضافوا مِنْ عندهم كفريات وفجريات حتى ملأوا الساحة الإسلامية بما هو غير مسلم، بل بما هو عدوٌّ للإسلام وناقضٌ له.

وبعد أَنْ كانوا يمشون بالفساد، ويزاولون الإفساد على استحياء، تَبَجَّحوا وتَوَقَّحوا وانطلقوا في تطبيق خططهم في محاولة القضاء على الإسلام، وقد أَلْبَسُوا ضلالهم مسوحًا حَسِبَهَا الناس من الإسلام، وإنها لَمَجُوسِيَّةٌ ضالة:

١- فمن الزهد؛ انطقوا إلى التصوف، وإغراقا في الضلال قسموه إلى تصوف سني وآخر بدعي، ويأبى الله ورسوله والمؤمنون أن يكون شيء من ذلك كلمةَ سنة، ثم من التصوف إلى «المواجيد» و «السُّكر» و«الفناء» إلى غير ذلك.

وقد ضل بذلك خَلْقٌ كثيرٌ، وقد ظل ذلك على مستوى الأفراد حتى جاء من قَعَّدَ لذلك مدرسةً تقوم على الكفر والفجور، ذلكم شيخ الضلال الأكبر محيي الدين ابن عربي -عليه لعائن الله-.

٢- ومن حُبِّ الرسول ﷺ ابتدعوا الاحتفال بالمولد، وفي ذلك ما فيه مما لا يخفى من البِدَع والضلالات.

٣- ومن حُبِّ أولياء الله، اخترعوا الموالد، وابتدعوا القِبَابَ،

وابتدعوا الطواف، حولها، والاحتفاء بها وبصاحبها الميت الذي لا يَمْلِكُ من أَمْرِ نفسه شيئًا، وقد يعذب به إن كان قد رضيه أو أوصى به.

٤- ومن حبهم الأولياء أشركوا وضلوا، حتى جعلوهم شركاء لله ﷻ، فطلبوا منهم جَلْبَ النفع، وسألوهم دَفْعَ الضر، وبذا اتخذوهم أندادًا مِنْ دون الله، وقد عُلِمَ من ديننا ضرورةً أن الضارَّ والنافع واحدٌ، وأن الله ﷻ هو مالكُ الملك ومصرِّفُهُ ومدبِّرُهُ، وكل ما خالف ذلك فهو شرك أكبر -نعوذ بالله-.

٥- وقد كان ممن وسموا «الأولياء».

من لا يَدَ له ولا مسئولية عليه فيما يجرى حوله أو بسببه من ضلال وفجور؛ فهم في ذمة الله تعالى ينتقم لهم ممن أساؤوا إليهم.

وكان منهم من أوصى بإقامة ضريح له، ونصب قبة عليه، وتنظيم مولد سنوي له، بل إن منهم من اهتم بوضع تفاصيل هذا الضلال الشركي في حياته وشارك في رسمه وتنظيمه،

ولقد زُرْتُ شيخًا من شيوخ الأزهر السابقين في بلده، فوجدته قد نصب في الطريق إلى بيته قبة عالية، وأعد حولها مساحة فسيحة، تمهيدا لدفنه في هذا الضريح تحت هذه القبة العالية، وإقامة الاحتفال بمولده كل عام، وقد اختار ما اصطلح على تسميته الخليفة، كل هذا في حياته، وقد لقيته في بيته، وكانت زيارتي له تعزية في زوجه -رحمها الله- ولمَّا سألْتُهُ عن الضريح والقبة العالية، قال عبارة واحدة، قال: «انصرف يا شيخ... راشدا، ولا تعد إلينا لأية مناسبة» وقد عشتُ حتى رأيت ابنه خليفته يقيم الاحتفال الصاخب احتفاء بمولد الشيخ أبيه.

٦- من أبواب الشر التي فُتحت بسبب مَنْ نسمِّيهم «الأولياء»: بناء المساجد على قبورهم أوْ في أحد المساجد القائمة، وقد عُلم أنَّ الحكم الشرعيَّ في القبور داخل المساجد الحرمةُ القاطعةُ -عند الجمهور- والكراهة الشديدة -عند البعض- وقد اشتد بعض العلماء فقال بعدهم جواز الصلاة في مسجدٍ به مقبرةٌ بلا حائل، ولا

نقول بذلك.

٧- من أبوب الشِّرْكِ الطواف بقبر من زعم بأنه وليٌّ، والطوافُ في ديننا بنِيّةِ القربة لا يحل إلا حول بيت الله الحرام، وأما بغير نية القربة فلا شيء فيه، كمَنْ يطوف ببيت بناه ليرى ما فيه، والطائفون حول الموتى من الأولياء المزعومين إنما هو بنية القربة، وذلك حرامٌ بإجماع المسلمين غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

٨- مِنْ أبواب الشرك الطلبُ مِنْ صاحب القبر -كما ذَكَرْنا آنفا- لكنا هنا نحصر صور الضلال من الزائرين قبر الوليِّ المزعوم، فهذه الصور الضالة كثيرة أَوْضَحُها ثلاثٌ:

أ- أن يدعو الله ﷻ ويَقْصُرَ طلبه عليه -سبحانه- لكنه يعتقد أن دعاء الله في رحاب قبر الوليِّ أَحْرَى بالقبول، وأدنى إلى الإصابة، وتلك أَخَفّ الصور الثلاثة ضلالا، فإن الله يجيب دعوةَ الداعي بشروطها في كل مكان، وفي المسجد الحرام، وحول البيت أثناء الطواف أحرى بالقبول فحكمُ ذلك

الكراهةُ التحريميةُ أو الحرمةُ.

ب- أن يطلب من صاحب القبر أن يشفع له عند الله ﷻ ويرجو له اللهَ أن يجيب دعاءه، فهو إذن لم يطلب من الولي ولم يَدْعُهُ، فقط طلب منه أن يشفع له عند الله ليستجيب له... وهذه أَدْخَلُ في الضلال من الصورة السابقة، وأقلّ ضلالة من الثالثة، وهي شِرْكٌ صريحٌ، وإن كان يخفِّف منه هَوْنًا ما جهل العامة والغوغاء والدَّهْمَاءُ، الذين يغرر بهم الزعم بأنهم لم يطلبوا من غير الله سبحانه لكن حُجّة هؤلاء واضحةٌ فإن الله ﷻ بَيَّنَ في كتابه العزيز أن مُشْرِكِي مكة يعبدون آلهتهم زاعمين أنهم شفعاؤهم عند الله، يقول الله ﷻ عن مشركي مكة: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

فهذا التَّشَفُّعُ أو الاستشفاع جعله الله ﷻ شِرْكًا، وقال الله ﷻ عن المشركين إنهم قالوا في أندادهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[الزمر:٣]

فهذه شفاعة أو استشفاع أيضا، وقال الله ﷻ يحسم المسألة: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر: ٤٤].

والمحقق أن هؤلاء لم يعبدوا أصحاب القبور كما كان المشركون يفعلون مع آلهتهم وللعلماء فيما قال الله ﷻ في تلك الآيات وتطبيق ذلك على هذا الصنف الثاني رأيان:

الأول: أن المشركين من أهل مكة زعموا أنهم اتخذوا آلهتهم شفعاء فقط، وأنهم كذبوا في ذلك، بل هم عبدوهم لذات العبادة، وتلك أَعَمُّ وأَخْطَرُ من مجرد الاستشفاع بهم، وهذا يعني: أَنَّ ثمة فَرْقًا بين العبادة والتشفُّع.

وهذه تكون في صالح هذا الفريق؛ إذ تنفي عن فعلهم هذا صفة التعبد لصاحب القبر، وإن استشفعوا به، كما تنفي عنهم مماثلة المشركين.

الثاني: أن العبادة والتشفع شيءٌ واحدٌ، وأن المشركين

صادقون في أنهم يتشفعون بهؤلاء الأصنام عند الله -سبحانه- وأن الله ﷻ، قد جعل هذا الاستشفاع عبادةً، وعلى هذا فلا فَرْقَ بين العبادة والاستشفاع، فالاستشفاع عبادةٌ إلا فيمن نصبهم الله للشفاعة، وأذن لهم بذلك -كما قال سبحانه-:

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]

فالشفاعة جائزةٌ والإيمانُ بتحقُّقها لمن أذن الله لهم بها واجبٌ شرعيٌّ مَنْ كَفَرَ به فَسَقَ عن الملة.

جـ- أنْ يدعو صاحب القبر مباشرةً، فيتوجَّهُ إليه بالدعاء والطلب، فيطلب منه جَلْبَ النَّفْع له، ورَفْعَ الضر عنه، دون ذِكْرٍ لله ﷻ، وهذه الصورة شركٌ أكبرُ واضح لا لَبْسَ فيه -نعوذ بالله-.

٩- مِنْ أوسع أبواب الشرك في هذا الجانب أن يَنْذِرَ لصاحب القبر، أو ينذر لمن يزعم أنه وليٌّ من أولياء الله، سواء ذهب إلى قبره أو لم يذهب؛ فكثيرون هم هؤلاء الذين ينذرون للحسين، أو السيدة زينب، أو الشافعي -رحمهم الله رحمة

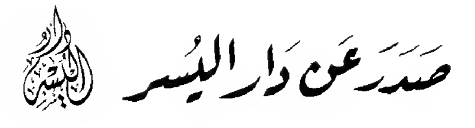
واسعة- ومن هؤلاء من يذهب بنذره ليضعه في صندوق النذور الباطلة عند قبر الوليِّ المزعوم، ومنهم من يُرْسِلُ النذر مع آخر ليضعه في مكان، وتقدَّر النذور في بعض الأضرحة بمئات الآلاف من الجنيهات مثل صندوق ضريح «الحسين»، أو «السيد البدوي»، أو «السيدة زينب».

ولهذه الصناديق نُظُمٌ ولوائحُ تَحْكُمُ فتحها وتوزيع ما فيها على أصحاب الأنصبة، ومن أصحاب الأنصبة شيوخُ المساجد التي فيها الأضرحةُ وأئمتُها... وهؤلاء المشايخ والأئمة يقبضون أنصبتهم بعشرات الآلاف، ولا يجدون حرجا في أَكْلِ هذا السحت الحرام.

وهذه الصناديق تُفتح في المواسم المعيَّنَةِ وبخاصة بعد انتهاء الاحتفال بمولد صاحب الضريح، حيث تكون حصيلةُ النذور أَوْفَى ما تكون، وتفتح كذلك في مناسباتٍ تُحدّدها لائحة الأضرحة.

محتويات الكتاب





سلسلة فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف

١- فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف حول الأضرحة والقبور

٢- فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف في الشيعة

٣- فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف في البهائية والقاديانية

٤- فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف حول ربا البنوك والمصارف

٥- فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف حول ختان الإناث

٦- فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف حول النقاب

٧- فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف حول تحرير فلسطين والأقصى الشريف

٨- فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف في وجوب تعظيم الشريعة وتحكيمها

٩- فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف في انحرافات الطرق الصوفية

